مبادرة

القراءة بالمجان

الكتاب: ورا الشبابيك

الكاتب: مجموعة مؤلفين

رقم الإيداع: 21561/ 2018

ISBN: 978-977-800-021-4

تصميم الغلاف: إيمان كريم

تدقيق لغوي- تنسيق داخلي:

www.sekoon.com

ععع عععع ععععع عععععععع

مدير النشر: فتحي المزين: 01282288056

Email: layanpub@gmail.com

جميع الحقوق محفوظة للناشر

وأي اقتباس أو تقليد، أو إعادة طبع أو نشر دون موافقة كتابية يعرض صاحبه للمساءلة القانونية.

ورا الشبابيك

مجموعة قصصية

إسلام سعيد
دانة الخياط
شروق كمال
منى لبيب

لبان
للنشر
والتوزيع

المحتويات

إهداءات 7
الحب الأول 17
عُد إليَّ 33
الرحلة رقم 305 41
عربة القطار 59
العائد من المجهول 67
قسوة العشق 83
122 طوارئ 91
من المِحَن تأتي المنح 103
مسبحة الشيخ بهي الدين 113
الحلم والكنز 121
ميراث القهر 127
القمر الدامي 139
قل لي ما هو برجك..أقل لك من أنت 155
فالحب وحده أحيانًا لا يكفي!! 163
أمل 173
بوابة الجحيم 193

إهداءات

إهداء

من منى لبيب

إلى أمي الداعمة دائمًا والسبب الرئيسي في كل نجاح حققته وسأحققه في حياتي.. دمت داعمة يا سر السعادة في عمري..

إلى زوجي «أحمد» وشريك الحياة الذي لم يخذلني قَط.. دمت صاحب الجانب المشرق في حياتي وأدام الله وجودك بجانبي إلى أن نلقاه.

إلى أولادي.. ثمرة الحب الصادق «إياد وجمانة»

إلى من رباني وعلماني معاني الحياة؛ أخوتي الكبار «محمد وأحمد ومحمود وإبراهيم وعبد الرحمن»

إلى روح أبي «حسن» الطاهرة..

وإلى كُل مَن آمن بي وشجعنى ولو بدعوة صادقة أو بابتسامة حانية من أهلي وأصدقائي...

أهدي لكم ذلك العمل المشترك بيني وبين أحباء قابلتهم بالمعتكف الكتابي السابع حيث وضعهم الله في طريقي كنعمة من نعمه التي لا تُعَد ولا تحصى..

إهداء
من دانة الخياط

إلى قُرَّائي في كل بقاع الأرض مع حبي وتقديري

إهداء
من شروق كمال

إلى كل الأرواح القابعة خلف النوافذ المغلقة.. إلى العيون التي تراقب في صمتٍ، وتنتظر من يقرأها ويكتبها.. إلى القلوب الشفافة التي تتنسم عبير ما نكتب..

إلى عائلتي وكل الأصدقاء وكل من آمن بحرفي.. إليكم أهدي كلماتي

إهداء

من إسلام سعيد

أهـدي هـذا العمـل إلى أمـي الغاليـة التـي زرعـت فيَّ حـب القـراءة والاطـلاع وإلى أبي، أطيـب قلـب رأيتـه في هـذا العـالم وإلى أخـواتي: أسـماء وأشرقـت وأصالـة وإلى هبـة الله رفيقـة الـدرب وداعمتـي الأولى.

وإلى أخوتي أفراد المعتكف السابع.. شكرًا لكم جميعًا.

الشباك الأول

ععععع

ععع ععع ععععع عععععع

ععع عععععععع

عععععع ععععععععع

عععععععع

عع عععع عععع عععع

عععع ععع عع عععع عععععععع

ععععع عع ععععع

عععع ععععع عععععع

عععععع ععع ععععع عععععععع

ععععع ععععع

ععععع عع عععع

شروق كمال

الحب الأول

بقلم: منى لبيب

مـن نافـذة السـيارة التـي أسـتقلها يوميًّـا للذهـاب إلى عمـلي الـذي يبعـد عـن منـزلي قُرابـة الخمسـين كيلـو مترًا.. أسـتدعيك يوميًّـا مـن ذاكـرتي لأتحـدث إليـك وأتذكـر كل مـا حـدثَ بيننـا في سـابق عهدنـا، وكيـف تركتـك لأتجـرع مـرارة فقـدك مـن أيامـي بمفـردي والنـدم الـذي يعتـصر قلبـي، ولكـن دون جـدوى.

وذات يـوم، جاءتنـي الفكـرة بـأن أحـاول أن أبحـث عنـك مجـدَّدًا عـبر مواقـع التواصـل الاجتماعـي، وأبحـث عـن اسـمك فضـولاً منـي في معرفـة مـا فعلـه الزمـان بـك؟

عـلى الفـور أحـضرت هاتفـي وكتبـت اسـمك في البحـث «أمجـد سـالم»، ووجـدت العديـد مـن الحسـابات تحمـل نفـس الاسـم، وأيقنـت أن الأمـر لـن يكـون بتلـك السـهولة؛ فـلا بُـدَّ مـن الكثـير مـن التحليـلات لأوقـن بأنـه

حسابك الخاص لأننا لم نلتقِ منذ قرابة العشرين عامًا بعد انتهاء دراستنا بكلية الهندسة بثلاث سنوات.

وبعد تحليل كل الحسابات التي تحمل نفس اسمك عثرت عليك، تغيَّرتَ كثيرًا يا أمجد، رسم الزمن خطوطًا عميقة على وجهك تحمل المزيد من المعاناة، والشعر الأبيض لم يستحِ أن يبدو صارخًا في كل صورك مع أصدقائك على صفحتك.

ظللت أبحث عن تفاصيل أكثر عنك والفضول يقتلني أن أرى شريكة حياتك، ووجدتها في منشورٍ مشترك أرسلته إليك على صفحتك ودخلت على صفحتها لأراها، وجهها يشبهني كثيرًا وكأنك اخترت ألا تنساني، ولا أعلم لماذا اجتاحت قلبي الغيرة حين رأيت ردك على منشورها بأنها حُب عمرك الوحيد.

فكرت أن أرسل لك طلب صداقة ورسالة أطمئن بها عليك، ولكن سرعان ما انتبهت أنه لا جدوى من ذلك، واكتفيت بأن أتابع أخبارك وأفتش في منشوراتك طوال السنوات الماضية لأجد ما أثلج صدري؛ أنك قد رُزِقت بطفلة منذ ثلاث سنوات فقط وأسميتها «سلمى» على اسم حبيبتك الأولى «أنا» وفهمت حينها لماذا لم تتزوج إلا منذ خمس سنوات فقط.. علمت أنك ما زلت تحبني وما زلت تنتمي بكل جوارحك إلى حبك الأول.

وجلست في طريقي للعمل كعادتي يوميًّا وأبحث عمَّا يؤنس وحدتي الآن بمتابعة أخبارك واستعادة ذكراك والبحث في صورك ومنشوراتك، وجدت ما يحتوي الشجن الذي بات بداخلي بعد أن أصبحت أرملة

وأمّـا لشـاب في العشريـن مـن عمـره بكليـة الطـب وأسـميته «عمـر» مثلـما اتفقنـا بالجامعـة أننـا عندمـا ننجـب ولـدًا سنسـميه «عمـر» ولـو بنتًـا سنسـميها «سـلمى» وهـا هـو القـدر يجعلنـا نتذكـر الأسـماء ونـصرّ أن نلتـزم بهـا إحيـاءً لذكـرى حبنـا ولكنـه في المقابـل حرمنـا مـن العيـش بجانـب بعضنـا البعـض.

وفي يـومٍ مـن الأيـام رأيـت أحـد أصدقائـك يكتـب عـلى صفحتـك عـن حـادث تعرضـت لـه وأنـك بإحـدى المستشـفيات الاسـتثمارية بحـي المعـادي لمـن يرغـب في زيارتـك للاطمئنـان عليـك وعـلى أسرتـك بعـد الحـادث الأليـم الـذي تعرضتـم لـه بالأمـس، جـن جنـوني وأبلغـت السـائق عـلى الفـور بتغيـير وجهتـي إلى المعـادى بـدلاً مـن العمـل، دون أن أفكـر هـل كان هـذا القـرار صائبًـا أم لا؟

دخلـت الى المستشـفى مسرعـة ولـدي مـن اللهفـه مـا يسـوقنى لأسـأل وأنـا ألهـث إحـدى فتيـات الاسـتقبال بالمستشـفى عنـك ليخـبروني بأنـك بالـدور الرابـع الخـاص بالعمليـات، وركضـت عـلى درجـات السـلم دون أن أعـي أنـه كان بإمـكاني اسـتخدام المصعـد.

مـا إن وصلـت للـدور الرابـع حتـى ظللـت أبحـث عنـك كالمجنونـة.. أعلـم اليـوم شـكلك بوضـوح فأنـا أراك وأرى أخبـارك وصـورك يوميًّـا ولـدي وِرد يومـي أذكـرك فيـه وأتذكـر كل تفاصيـل وجهـك الـذي لم يغـب عنـي في صورتـه الجديـدة ولا يومًـا واحـدًا منـذ أن عرفـت طريـق صفحتـك.

رأيـت اثنـين يخرجـان خلـف بعضهـما مـن غرفـة العمليـات، ووجدتـك أولهـما وعرفتـك دون تـردُّد وشـعرت وكأن الزمـن قـد توقَّـف الآن وحبـك يهـز كل كيـاني والسـنوات تشـعل بركانًـا تحـت قدمـيَّ. وقـف الـترولي قليـلاً

في انتظار المصعد ووقفت بجانبك والدموع تغمرني وسمعتك تهمهم بكلمات كثيرة وسمعت من بينها «سلمى»!!

يا الله.. إنه يذكرني.. كيف لم نتمسك بهذا الحب ونتزوج..كيف؟

وبدون أن أدري أمسكت يديك وقلت: «أنا هنا».. لم أعِ أني لم أعد طفلة الآن؛ فأنا في منتصف الأربعينيات ويغلب على هيئتي الوقار، ما هذا الذي أفعله؟ وكيف صدر مني هذا التصرف الأحمق أمام الجميع؟ لسنا بالجامعة الآن ليتم تبرير أفعالٍ كتلك!!

لكن ما يبدو حقيقة واضحة أني فنيت أيامي بأيامك وكل ذكريات طفولتي وشبابي هي أنت.. أنت فقط، وكأن العقود الأولى من حياتي كُتِبت باسمك؛ لذا عندما رأيتك شعرت وكأنني لا زلت طفلة وعدت دون أن أدري إلى سابق عهدنا، إلى حب البراءة الراسخ في وجداننا، عدت لأتحسس موضع حبك بقلبي لأيقظه من سباته طوال السنوات الماضية، وكأنني أيقظته على بركان أشعلته في طيات جسدي بالكامل، أشعلت كل النيران الآن وفقدت حتى السيطرة على إخمادها.

انتبهت بعد شرودي إلى عيون المحيطين وأنا ممسكة بيديك ونظرت إلى يدي التي لم تعد بعدُ يدَ طفلة.. لقد كبرتِ يا سلمى.. أفيقي.. ولم أنطق بكلمة واحدة وانسحبت بهدوءٍ.

جاء المصعد لتوه لينقلك إلى غرفتك بعد إجراء العملية، وعرفت من الاستقبال رقم الغرفة وجلست بمقاعد الانتظار القريبة من غرفتك لأتابع الحاله مع الأطباء بعد المرور عليك وأرقب الزائرين إلى أن تيقنت من وجودك بمفردك ودخلت لأراك دون مراقبة المحيطين بك

وأسئلتهم التي تبدو ظاهرة بأعينهم، من أنتِ أيتها السيدة المتصابية يا مَن أمسكت بيديه أمامنا دون حياء؟

أنتَ الآن أمام عيني، وجدتك مغمض العينين تبدو على وجهك آثار جروح وخدوش من الحادث، تتنفس ببطءٍ، جلست أتفحص كل سنوات العمر التي مرت والتي تبدو خفية في طيات وجهك الذي لم أكن أعلم أني سأراه يومًا ما بعد أن افترقنا منذ عشرين عامًا.

يا إلهي.. حبيب العمر أنعم برؤيته الآن بعد سنوات من الحسرة انقضت بدونه، كيف مرت؟ وكيف تذوقت واستسغت المُرَّ في بُعدك؟ وكيف مررت أنت من خلالي الآن لتلمس كل ما بوجداني وتوقظ أحلامًا كنا عشناها سويًّا؟

يا ويلي.. لم أكن أعلم أن حبك يحيا بداخلي لهذه الدرجة، لم أكن أعلم أني طوال السنوات التي انقضت أروي حبك وكان ينتظر لقاءك كي يزهر للمرة الثانية!!

جلست أحادثك، كيف حالك؟ هل نسيتني؟ أعلم أنك غاضب منِّي لأني تركتك وتزوجت غيرك، ولكنك لا تعلم شيئًا، أريد أن أتحدث إليك كثيرًا، ولكن تأتيني الكلمات تشكو إليَّ قلة حيلتها في وصف ما بداخلي من حُبٍّ واشتياقٍ إليك، أعذرها فلن تستطيع أن تصف سنوات عمر قد مضت غُزِلَت فيها روحي إليك لترتديها لتصبح أنا وأنتَ.. أنت.

لم تستطع كل مجريات الحياة وكل مشاكلها أن يقفوا حيال شوقًا يملأني ويحيطني أينما كنت.

أحبك حتى الآن ولن أنكر، وكيف أنكر ويبدو واضحًا أمام الجميع..

بعينـــي آثـــار نـــار حبـــك التـي يكتـوي بهـا قلبـي آنـاء الليـل وأطـراف النهـار.

ليتـك لم تتركنـي ونبتعـد، ليتـك ظللـتَ بجانبـي لأتنفـس هـواك، أعيـش في جنتـي الخاصـة بقربـك، أنتمـى إليـك وولائي الكامـل لـك يـا وطنـي الوحيـد؛ لـذا كنـت دومًـا أشـعر بالاغـتراب في وطـن غـيرك، كنـت أشـعر وكأننـي نُفِيـتُ دون أن أفعـل شـيئًا يسـتدعي النفـي سـوى أني عشـقتك دون أن أفكـر مـاذا بعـد!

سـلمى.. هكـذا قطعـتَ شرودي وأوقفـت دموعـي لأنتبـه للمـكان ولصوتـك المُتعَـب.. نعـم يـا أمجـد أنـا هنـا وأمسـكت يديـك وقبَّلتها وقلتُ: حمـدا للـه عـلى سـلامتك. أفقـت ونظـرت إلى وجهـي كثـيرًا إلى أن تحققـت منـه وتأكـدت مـن صـوتي الـذي لم يتغـير بعـد، ولم تتحـدث أكـثر مـن عـشر دقائـق ثـم غبـت عـن الوعـي مـرة أخـرى.

بعـد نصـف سـاعة عـدت إلى الوعـي ثانيـة ووجهـت لي الحديـث وأنـت تحـدق بعينـيّ.. سـلمى ابتعـدي عنـي، لا أريـدك مجـددًا في حيـاتي مـن فضلـك.

تركـت يـدك وانسـحبت بهـدوء دون أن ألفـظ بكلمـة واحـدة وأخـذت الـكارت الخـاص بي مـن حقيبتـي وتركتـه عـلى المنضـدة بجانبـك وانصرفـت.

كنـت أتصـل يوميًّـا بالمستشـفى لأطمـئن عـلى حالتـك إلى أن علمـت بخروجـك وعـدت لمتابعـة أخبـارك عـلى صفحتـك كـما كنـت أفعـل مـن قبـل.

بعـد عـدة أسـابيع أرسـلت إليَّ طلـب الصداقـة ومعـه الرسـالة التـي بعدهـا اتفقنـا عـلى تلـك المقابلـة، هـذا كل مـا حـدثَ وكنـت لا تعلمـه.

- أتذكرين الرسالة جيدًا يا «سلمى»؟

- تقصد حفظتِها عن ظهر قلب يا «سلمى»؟

- إذًا أثبتِ لي ذلك.

- «تحت تأثير المخدر والمخدر لم يخدر شوقي لكِ.

وليس لدي مبرر لماذا أنتِ بعد كلِّ ما فعلتِ يبطُل التيمم بكل نساء العالمين إذا تواجدتِ

لا يهم ألمي وجُرحي، بل المهم أنه قد عاد فرحي حين سمعت صوت دفء حنانك عند سؤالك كيف حالك؟

تدفق صوتك العذب بين شراييني ولازلتِ تسألينني كيف حالك!!

أقسم بعينيك أن ألمي في بُعدك لا يضاهيه حتى كسر ضلوعي يا روح الحياة

وتعجبت حين نويت الابتعاد وزاد العناد وواجهت يا نور الفؤاد أقوى جهاد، جهاد روحي ألا تشتهيكِ حتى المميات، ولا أخفيك سرًّا يا أميرة الأميرات بأنني أضعفُ من استمراري في جهادٍ كُلِّه ذنوب، به عذاب بكل الدروب. قراري الأخير عن حبك يا فرحة عمري لن أتوب.

- أشعر يا سلمى وكأنني الآن عدتُ لتوِّي للجامعة، تفاصيل وجهك البريء لم تغب عنِّي ولو ليومٍ واحدٍ، حب عجيب أن يصمد بعد عشرين عامًا، أليس كذلك؟. دعيني أحكي أنا الآن يا سلمى لماذا طلبت مقابلتك..

لا زلتُ أحبك وأعلم يقينًا ذلك ولم أهرب من طيف خيالك الذي كان يحيطني في كل الأماكن بل كنت أستدعي حتى رائحة عطرك بالجامعة حتى أستشعر بوجودك الكامل حولي.

عندما رأيتُك بالمستشفى وضعفي كان واضحًا أمامك حاولتُ أن أرتدي قناع العاشق الذي برأ من الهوى وطلبتُ منك أن تبتعدي وبداخلي حنينٌ لا يُوصَف وحاولت بعدها أن أبتعد عن ذكراكِ التي تُضعف قدرتي على عدم الاتصال بك، ولكن بعد فترة لم أستطع أن أكمل ولم أشعر بيدي وهي ترسل إليك الرسالة.

زوجتي «ليلى» تُحبني كثيرًا وأنا أحمل إليها الكثير من الاحترام فقد تحملت تقلبات مزاجي كثيرًا ووقفت بجانبي ووافقت على الارتباط بي رغم أني أكبر منها بثلاثة عشر عامًا كنتُ قد قابلتها وأنا أدرس بإحدى الجامعات الأجنبية للدراسات العليا.. مجتهدة وجميلة، وتشبهك كثيرًا. وابنتي «سلمى» هي كل حياتي ولا أستطيع العيش بدونها.

جئتك اليوم لأقتل فضولي عن أحوالك وأطمئن عليكِ ولا أريد حتى معرفة لماذا تركتني؟ ولا أخفيكِ سِرًّا أني علمتُ بأنك أرملة قبل أن أطلب مقابلتك؛ لأن أخلاقي تحتم عليَّ ألا أقابلك وأنتِ متزوجة. فأنت تعرفينني جيدًا يا سلمى لدي من القيم الأخلاقية والثوابت التي لم تتغير بعد ولن تتغير.

بعد تفكير عميق يا سلمى وجدتُ أنه لا جدوى من العودة مجددًا للحديث سويًّا؛ فبالرغم من حبك الكامن بداخلي والذي يبدو واضحًا في عينيّ وبرعشة صوتي وسلامي ولكنني رجلٌ صعيدي لن

أعـود إلى مـن تركتنـي يومًـا دون إبـداء أسـبابٍ للبُعـد، ومـن ناحيـة أخـرى لـن أخلـف العهـد مـع زوجتـي التـي وقفـت بجانبـي وتحمَّلتنـي كثـيرًا.

سعيد برؤيتك وأتمنى لك حياة سعيدة ومستقبلاً مبهرًا لابنك «عمر».

انـصرف «أمجـد» بعـد كلماتـه القاسـية الحـادة ودون أن ينتظـر منِّـي ردًّا يثلـج صـدري حتـى لـو كان عكـس مـا أشـعر بـه إرضـاءً لكرامتـي.

أخـذت قـرارًا بإلغـاء كل شيء يَمُـتُّ لـه بصلـة مـن قريـبٍ أو مـن بعيـدٍ وحظـرت دخولـه عـلى حسـابي ولم تعـد تهمنـي أخبـاره ولا متابعـة أي شيء يخصـه وحتـى حـين يشـتعل حنينـي إليـه أحـاول أن أنشـغل بعمـلي وبحيـاتي حتـى تعـوَّدت ذاكـرتي ألا تسـتدعيه ثانيـة ولكـن قلبـي رغـمًا عنـي يذكـره مـن حـينٍ لآخـر.

بعـد مـا يقـرب مـن عامـين عـلى لقائنـا أتـاني طلـب صداقـة مـن «ليـلى راغـب»، وعـلى مـا أذكـر أنهـا زوجتـه وتـرددت قبـل قبولـه إلى أن أتتنـي رسـالة منهـا، أرجـو قبـول الصداقـة وأريـد مقابلتـك بنفـس المـكان الـذي قابلـتِ بـه أمجـد منـذ عامـين لأمـرٍ هـامٍ، عـصر الغـد.

لم أنـم ليلتهـا؛ فـلا أعلـم لمـاذا تريـد مقابلتـي؟ وهـل ستسـمعني كلامًـا جارحًـا مثلـما أسـمعني إيـاه أمجـد؟ أم تريـد معرفـة إذا كنـا مـا زِلنـا نتواصـل أم لا؟ حاولـت الدخـول عـلى صفحتهـا لمعرفـة شـخصيتها ولكـن يبـدو أنـه لا يوجـد تفاعـل عليهـا مـن أعـوام!!

وبعـد تفكـير عميـق قلـت أنـت يـا «سـلمى» لا تخشـين المواجهـة في أي موقـف.. اذهبـي واسـمعي منهـا.

ذهبـتُ في أبهـى صـورة ولا أعلـم لمـاذا كنـت حريصـة أن أكـون في أجمـل صـورة؟ هـل أغـار منهـا؟ لا أدري.

ذهبت للمكان المتفق عليه قبل الموعد وتعجبت حين رأيتُها ويبدو عليها عدم الاهتمام بمظهرها تمامًا، وعرفت أنها هي بصعوبة؛ فهي تختلف كثيرًا عن صورتها قبل أعوام على حسابها الشخصي!!

مددت يدي وسلمت عليها وقالت لي: «أهلاً سلمى، جئت لأقول لك رغمًا عنِّي بعض الكلمات ولا أريدك أن تقاطعيني.

أمجد يحبك ولم ينسَكِ قَط ولو يومًا واحدًا، وآخر يوم قابلك فيه كان يتمنى أن يعيش بجانبك ويطفئ نار اشتياقه إليك ولكنه أراد أن تنسيه ولا تتابعي أخباره حتى لا تتألمي حين يتوفاه الله.. أمجد كان قبل وفاته بعام مريضًا بالسرطان وبمرحلة ميئوس منها ويبدو أن الحادث عجّل بأيامه وتوفاه الله بعد مقابلته لك بعشرة أيام فقط.

طلب مني أن أبلغك أنه يسامحك ويرجو منك أن تسامحيه على ما بدرَ منه يوم لقائكما، وبعد وفاته لم أستطع إبلاغك بشيء وكنت قد انتويت ألا تعلمي كل هذا ولكنه أتاني أكثر من مرة في أحلامي يلومني على عدم تنفيذ وصيته وجئت اليوم لأخبرك بالوصية الثقيلة جدًّا على قلبي وكرامتي أيضًا.»

انصرفت لتوها بعد أن تركت جرحًا غائرًا بداخلي ودموعًا لن تنتهي بقية عمري. أحبَّني حتى آخر نفس له في الدنيا، لم يقصد جرح كرامتي.. ليت الأيام تعود وكنت اخترته رغمًا عن كل الظروف.. يا إلهي!.. كيف سأكمل حياتي؟ وماذا عساني أن أفعل؟ كيف أكفِّر عن الألم الذي عاش به طوال عمره بسبب حبه لي الذي لم أتمسك به في سابق عهدنا.

قررت التواصل مع ليلى ومحاولة صداقتها رغم رفضها مرارًا وخاصة وأن طلبي الأساسي كان أن ألتقي بسلمى الصغيرة إلى أن وافقت بعد إلحاحي الشديد. كنا نتقابل بنفس المكان الذي قابلت به «أمجد» قبل وفاته والذي أتنفس فيه رائحة عطره. وكان لقائي بسلمى الصغيرة هو المتنفس من تلك الحياة المليئة بالذكريات الأليمة.

كانت سلمى الصغيرة توصف فعليًّا بأنها قطعة مصغرة جميلة من أمجد..كنت ألعب معها وأحاول أن أسمع منها كل قصصها مع أبيها المتوفى كي أجد فيها ما يحتوي الحنين والحزن اللذين باتا رفيقين أساسيين لحياتي منذ علمي بخبر وفاته.

فكَّرنا سويًّا أنا وليلى أثناء لقاءاتنا التي باتت نمطًا شِبه معتادٍ أسبوعيًّا ماذا نفعل لـ «أمجد» كصدَقَةٍ جارية وبالفعل اشتركنا بعمل مؤسسة خيرية تحمل اسمه «مؤسسة أمجد سالم للأعمال الخيرية»، واقتربنا كثيرًا أنا وليلى لدرجة أننا في ذكرى وفاته من كل عام نذهب سويًّا إلى قبره ندعو له ونتصدق على روحه الطاهرة.

واليوم أصبحت «جدة» فقد تزوَّج ابني عمر من حبيبته «علا» والتي فعلتُ كلَّ ما بوسعي كي يتزوجا بعدما تأكدت من حبهما الحقيقي لبعضهما ولخوفي من أن يتجرع مرارة فقدها من أيامه مثلما عانت أمه في سابق عهدها، أردت أن أختصر عليه سنوات من الألم والشقاء وأن يحيا في نعيم الدنيا مع من أحبها قلبه ومن تؤنس وحدته وتخفف عنه شقاء تلك الحياة، رزقه الله من نتاج هذا الحب ولدًا

جميلاً وصممتُ أن يسميه « أمجد» كي تحيا ذكراه بعد وفاتي، وفي كل يوم قبل الخلود إلى النوم أدعو له وأبلغه أني سامحته.

وها هي الحياة، تخفي خلف النوافذ المزيدَ من الألم والتعاسة.. والحب أيضًا.

الشباك الثاني

ع ع ع ع ع ع

ع ع ع ع ع ع ع ع ع ع ع ع

ع ع ع ع ع ع ع ع ع ع ع ع

ع ع ع ع ع ع ع ع ع ع ع ع ع ع

ع ع ع ع ع ع ع ع ع ع ع ع

ع ع ع ع ع ع ع ع ع ع ع ع

ع ع ع ع ع ع ع ع ع ع ع ع

ع ع ع ع ع ع ع ع ع ع ع ع ع ع ع ع

ع ع ع ع ع ع ع ع ع ع ع ع ع ع

ع ع ع ع ع ع ع ع ع ع ع ع

ع ع ع ع ع ع ع ع ع ع ع ع

ع ع ع ع ع ع ع ع ع ع ع ع

ع ع.. ع ع ع ع ع ع ع ع!!

شروق كمال

عُد إليَّ

بقلم .. دانة الخياط

تطل بعينين دافئتين من نافذة غرفتها، تتأمل المارة بشغف، تبحث في خطواتهم عن قصص، وتنسج حولهم حكايات من مخيلتها.

اسمي «لمار»، ومعناه بريق الذهب والألماس، عمري ست سنوات، الكل يظن بأنني طفلة مدللة شقية، فأنا آخر العنقود، ولكني سأثبت للجميع بأن الأطفال يملكون من المكر والدهاء ما يعجز عنه الكبار.. وسترون..

أختي الكبرى «نور»، أحبها جدًّا، فهي حنونة وطيبة، تدللني وتلعب معي، وتحضر لي الحلوى والهدايا، وتقص لي حكايات ما قبل النوم، لكنها في وضع نفسي سيئ للغاية؛ لأنها على خلاف مع خطيبها «ليث»، ابن الجيران الذي يحبها مذ كانا صغيرين، هكذا سمعت فأنا لم أكن موجودة وقتها، ما يهم أن نور وليث على خلاف والسبب أن ليث ذهب كعادته لإحضار أختي من الجامعة بعد انتهاء محاضراتها،

ولكنها تأخرت قليلًا فما كان منه إلا أن قضى بعض الوقت في الحديث مع إحدى صديقات نور، وعندما رأتهما نور استشاطت غضبًا، وضحك ليث على سذاجتها، فنعتته بالكاذب الجبان المخادع وأعادت له خاتم الخطبة. هذا هو الحديث الذي دار بين أمي ونور، والذي مُنعت من سماعه على اعتبار أنني طفلة صغيرة، وهذا حديث يخص الكبار.

كانت أختي تقضي معظم الليل في البكاء، أو في كتابة بعض السطور في دفتر يومياتها. وأراها في الصباح متورمة العينين، شديدة الحزن والألم، وكنت أشعر بأنها نادمة على تسرعها فهي لا تحب ليث فحسب، بل تعشقه ولا تستطيع العيش بدونه.

أما ليث فكان يخرج من البيت في الصباح الباكر، ويعود قرابة منتصف الليل، كنت أراقبه من عين الباب السحرية، وأجزم يقينًا بأنه كان يجهد نفسه في العمل مانعًا إياها من التفكير في أختي والأوصاف الجارحة التي وصفته بها.

وبما أنني أحب أختي، وأحب ليث أيضًا، كان عليَّ أن أتصرف، فاتصلت بشقيقة ليث واسمها «مي»، وهي في نفس عمري تقريبًا ولكنها ثقيلة الظل، ولكن لا يهم ذلك فعلينا إنجاز المهمة، طلبت من مي أن تحضر لزيارتي فحضرت، وأخبرتها بعد شرح مطول وتفصيلي بالخطة التي يجب إنجازها لإعادة علاقة أختي وأخيها.

تسللنا إلى حجرة نور وأخذنا نبحث عن دفتر يومياتها، فمن المحتمل جدًّا أن نجد رسالة خطتها أختي لليث لكنها تخشى من إرسالها بسبب الخلاف، استمر البحث قرابة ساعة، وكاد أمرنا أن

ينكشف بسبب ثقل ظل مي وصعوبة فهمها، وفي النهاية وجدنا دفتر اليوميات، وكما توقعت كانت نور قد كتبت رسالة رقيقة جدًّا بعنوان «عُد إليَّ»، وعلى عجل وضعت الرسالة في ظرف، وقلت لمي بأن تضعها في حجرة ليث.

في صباح اليوم التالي كان ليث ينتظر نور لإيصالها إلى الجامعة، وهمس في أذنها: «ها قد عُدت»، وعلامات الدهشة والتعجب بادية على وجه أختي، أما أنا ومي فكنا نراقبهما ونضحك بمكر وحبور.

عدت من المدرسة لأجد أختي الحبيبة ترقص وتغني فرحة، وصوت نجاة الصغيرة يصدع في أرجاء المنزل مغنية:

أيظن أني لعبة بيديه؟

أنا لا أفكر في الرجوع إليه

اليوم عاد كأن شيئًا لم يكن

وبراءة الأطفال في عينيه

ليقول لي: إني رفيقة دربه

وبأنني الحب الوحيد لديه

حمل الزهور إليَّ.. كيف أرده

وصباي مرسوم على شفتيه

ما عدت أذكر.. والحرائق في دمي

كيف التجأت أنا إلى زنديه

خبأت رأسي عنده.. وكأنني

طفل أعادوه إلى أبويه

حتى فساتيني التي أهملتها

فرحت به.. رقصت على قدميه

سامحته.. وسألت عن أخباره

وبكيت ساعات على كتفيه

وبدون أن أدري تركت له يدي

لتنام كالعصفور بين يديه..

ونسيت حقدي كله في لحظة

من قال إني قد حقدت عليه؟

كم قلت إني غير عائدة له

ورجعت..

ما أحلى الرجوع إليه

قلت لكم من البداية إن الأطفال يملكون من المكر والدهاء ما يعجز عنه الكبار، هل صدقتموني الآن؟

الشباك الثالث

عععع عععععع

ععع ععععع ععععع

عععع عععع.. ععععع

عععع عععع عععععع

ععع ععععع

عععع ععععع

عع عععع ععععع عععع

عع عععععع ععع عععععع

ععع عععععع عععععع

ععععع عع ععع

ععع عععع عععععع

ععععع عععععع

عععع ععع عععع

ع ع ع ع ع ع ع ع ع ع ع ع

ع ع ع ع ع ع ع ع ع ع ع

ع ع ع ع ع ع ع ع ع ع

ع ع ع ع ع ع ع ع ع ع ع

شروق كمال

الرحلة رقم 305

مقتبسة عن قصة حقيقية

(قصة أشهر لص طائرات في التاريخ)

بقلم إسلام سعيد

حدقت هَنَاء في انعكاس صورتها على زجاج نافذة غرفتها، وأرجعت رأسها قليلًا إلى الوراء، وهي تدون في يومياتها «منذ نعومة أظفاري وأنا أشعر بأن هناك شيئًا ما مميزًا ينتظرني ولقد كبرت وأنا ما زلت في انتظار ذلك الشيء بلا جدوى، حتى أدركت عندما نضجت بما فيه الكفاية أني كنت على مقربة من أكثر عمليات سرقة الطائرات شهرةً وغموضًا في التاريخ، إن الأفكار والذكريات تتزاحم في عقلي الآن ولا أعلم من أين سأبدأ ولكني سأتذكر القصة بالترتيب منذ بدايتها كي لا أنسى أي جزء منها».

المكان: مطار القاهرة، الزمان: وقت الأصيل من يوم 4 فبراير من عام 1991 حيث كنت قد أنهيت للتو آخر امتحان لي من امتحانات

منتصف العام وكنا في طريقنا للسفر إلى الأقصر ثم أسوان لقضاء العطلة هناك.

كانت تلك المرة الأولى التي أركب فيها طائرة وأنا كبيرة وواعية فقد قالت لي أمي إني ركبتها مرة قبل ذلك ولكن كنت في عمر الثلاث سنوات وبالطبع لا أتذكر تلك المرة على الإطلاق.

قمنا بالجلوس في صالة الانتظار حيث كان أبي يقوم بإجراء مكالمة عمل في إحدى الكبائن الموجودة بالمطار وكانت أمي تتصفح إحدى مجلات الموضة الموضوعة أمامنا والتي بحثت فيها عن مجلات ميكي أو ماجد ولكني لم أجد أيًّا منهما، ولذلك كنت أحتفظ ببطاقات تعريف أميرات ديزني التي اشتراها لي أبي من إحدى جولاته بالخارج وكنت أعلم قيمتها جيدًا فكنت أتحدث مع سنووايت وأقزامها السبعة أكثر من سندريلا ولكن كانت ياسمين حبيبة علاء الدين هي المفضلة لدي بلونها الأسمر وشعرها الناعم المنسدل على كتفها، كنت أريد أن أكبر لأصبح مثلها ولكني لم أكن أملك شعرًا ناعمًا مثلها وكانت بشرتي بيضاء باهتة، يا للحظ!

وأثناء ذلك قمت بدس يدي في جيبي لأجد نفسي أمسك بالهواء، حينها شعرت بشعور أشبه بشعور الجلطة أو فقدان القدرة على الكلام فقمت بخلع المعطف لأبحث عن بطاقاتي النادرة لأكتشف أن المعطف جيبه مقطوع!

ارتديت معطفي مرة أخرى في هدوء وجلست على الكرسي وأنا أبكي في صمت، وأثناء ذلك مر أمامي شخص أربعيني في عمر والدي

كان يرتـدي بدلـة سـوداء وقميصًـا أبيـض وربطـة عنـق سـوداء ونظـارة وحقيبـة بنفـس اللـون، كان يتشـح بالسـواد وكأنـه ذاهـب إلى عـزاء مـا.

جلـس بجانبـي هـذا الرجـل ولاحـظ أننـي أبـكي بصمـت ودموعـي قـد بللـت معطفـي وكل ذلـك في ظـل انشـغال والـدتي بمجـلات الموضـة والفضائـح المعروضـة أمامنـا، فجـأة تذكـرت والـدتي أن تذهـب إلى الحـمام وقالـت لوالـدي في الكابينـة أمامنـا بـأن يضـع عينيـه عـليَّ وأنـا جالسـة لحـين عودتهـا وحينهـا وجـدت الرجـل المتشـح بالسـواد يحدثنـي: «لم تبـكي يـا صغـيرتي؟»

نظـرت إليـه وأنـا أبـكي بحرقـة: «بطاقـات أمـيرات ديـزني ضاعـت منـي وللأبـد، لقـد كانـت مميـزة، كـنَّ صديقـاتي، أنـا مهملـة.»

– وكيف ضاعت منك؟

– وضعتها بجيب المعطف ولكنه كان ممزقًا فسقطت في مكان ما.

ثـم وجدتـه يقـول: «أهـذا سـبب بكائـك يـا صغـيرتي؟ أتعلمـين، أنـا لـديَّ ابنـة في مثـل عمـرك وهـي تبـكي بالمناسـبة كثـيرًا تلـك الأيـام، ويـا ليتهـا تبـكي عـلى ضيـاع بطاقـات أمـيرات ديـزني مثلـك.. سـأقول لـك سرًّا عديـنـي أن تحفظيـه للأبـد، أنـا أملـك ثـلاث بطاقـات مـن بطاقـات الأمـيرات سـأعطيكي إياهـا، إنهـا نسـخة تجريبيـة مُعربـة قمنـا بصنعهـا في محـل الألعـاب الخـاص بنـا، ولكـن عديـني ألا تخـبري أي أحـد عـن هـذا اللقـاء أوهـذا الحديـث كي لا يلومـك والديـك عـلى التحـدث مـع الغربـاء وأخـذ متعلقـات منهـم.»

نظـرت إليـه وأنـا لا أصـدق مثـل هـذه المصادفـة الغريبـة أن يجلـس بجانبـي شـخص غريـب ويملـك نفـس الـشيء الـذي للتـو فقدتـه، حينهـا

تذكـرت كلام والـدي عـن أن خاطفـي الأطفـال يسـتغلون حـب الأطفـال للألعـاب كي يسـتدرجوهم بعيـدًا عـن أهلهـم ويقومـوا بخطفهـم، لا أنكر أني شـعرت بالتوجـس والخـوف للحظـة ولكنـي وجدتـه يفتـح حقيبتـه السـوداء أمامـي، كان بهـا الكثـير مـن الأسـلاك والزجاجـات ووجدتـه يمـد يـده في أحـد الجيـوب الموجـودة في الحقيبـة ويخـرج شـيئًا مـا.

كنـت لا أصـدق نفسي وهـو يعطينـي إياهـا ويقـول: «تفضـلي بطاقاتك، ولكـن قبـل أن تأخذيهـا لا تبـكي عـلى شيء يمكـن تعويضـه يـا صغـيرتي.» وأغلـق الحقيبـة ونظـر أمامـه وتوقـف عـن الـكلام حينـما جـاءت والـدتي وجلسـت بجانبـي مـرة أخـرى وعـاد بعدهـا أبي مـن مكالمتـه الطويلـة المملـة، وذهبنـا لصالـة رقـم 3 في المطـار وكان الرجـل المتشـح بالسـواد خلفنا أثنـاء الذهـاب للممـر المـؤدي للطائـرة المتجهـة للأقـصر، رمقتـه بنظـرة رضـا وشـكر وأكملـت طريقـي وأنـا أمسـك بيـد والـدتي لـكي نصعـد الطائـرة.

كانـت الطائـرة بهـا عـدد ليـس بالكثـير مـن الـركاب، جلسـنا أنـا ووالداي في مقاعدنـا، ثـم مـر علينـا الرجـل ذو البدلـة السـوداء وجلـس أمامنـا ببضعة كـراسي في الجهـة الأخـرى، كان لا يـزال يرتـدي نظارتـه السـوداء حتـى في الطائـرة وكان يبـدو عليـه التوتـر مـن حـركات يديـه ورؤيتـه للوقـت في سـاعته بـين الحـين والآخـر، كنـت أشـعر برغبـة شـديدة أن أشـارك أمـي مـا حـدث معـي ولكنـي قاومـت رغبتـي العارمـة تلـك بـأن تذكـرت وعـدي لهـذا الرجـل الطيـب بـألا أتحـدث مـع أي شـخص عـما دار بيننـا كي لا أعاقـب مـن جهـة ولـكي أوفي بالوعـد الـذي قطعتـه معـه مـن جهـة أخـرى.

ربطنـا أحزمـة الأمـان في انتظـار إقـلاع الطائـرة والـذي يسـبب لي نوعًـا

مـن اضطـراب الأمعـاء يجعلنـي لا إراديًـا أمسـك بيـد أمـي في قـوة حتـى تنتهـي الطائـرة مـن صعودهـا للجـو وتسـير في مسـارها باسـتقامة.

كانـت الرحلـة عاديـة ومملـة وقمـت بإخـراج بطاقـات الأمـيرات الجديـدة ونظـرت إليهـا في شـغف وحـب عـلى الرغـم مـن افتقـادي لبطاقـاتي القديمـة إلا أني واصلـت الهمـس والتحـدث إليهـا كـما كنـت أفعـل مـع بطاقـاتي الضائعـة.

حتـي وجـدت المضيفـة تتحـدث مـع الرجـل ذي البدلـة السـوداء ويبـدو عليهـا علامـات القلـق والامتعـاض وكان صوتـه عاليًـا ويتلفـظ بألفـاظ نابيـة جعلـت كل مـن في الطائـرة يقـف مشـدودًا مشـدوهًا ومنتبهًـا لمـا يحـدث، وعندمـا لاحـظ الرجـل أنـه يجـذب الأنظـار إليـه طلـب بصـوت منخفـض مـن المضيفـة أن تجلـس بجـواره ثـم همـس إليهـا بـكلام وأعطاهـا ورقـة طلـب منهـا أن تسـلمها بدورهـا إلى كابـتن الطائـرة، مـا لفـت أنظـار والـديَّ وأنـا هـو رد فعـل المضيفـة التـي هرولـت إلى الكابينـة بعـد أن قـرأت الورقة، ثـم عـادت بعـد قليـل متصنعـة الابتسـام والهـدوء كي لا نلحـظ نحـن الركاب أي شيء وبعـد نصـف سـاعة وجدنـا كابـتن الطائـرة يحدثنـا مـن الكابينـة بـأن هنـاك مشـكلة غـير متوقعـة اضطرتـه إلى الهبـوط بمطـار النزهـة الدولي بالأسـكندرية وطلـب منـا ربـط الأحزمـة.. وبعـد قليـل هبطـت الطائـرة على المـدرج وطالبتنـا المضيفـة بالجلـوس في أماكننـا وذهبـت هـي إلى الرجـل في مقعـده وهـو يتحـدث معهـا وينظـر إلى الشـباك في ارتيـاب، وفجـأة وجدنـا عربـات الشرطـة والقـوات الخاصـة والإسـعاف تحيـط بالطائـرة ووجـدت المضيفـة تفتـح بـاب الطائـرة لتتسـلم أربعـة أجولـة مـن القـماش تبـين

لي بعد ذلك أنها مظلات قفز باراشوت وحقيبة جلدية بنية وقامت المضيفة بإعطاء تلك الأشياء للرجل ذي البدلة السوداء الذي أبلغها بشيء ما، وقامت بتبليغه للكابتن ثم وجدنا الكابتن يحدثنا من خلال كابينة القيادة بأنه يوجد حالة طوارئ اجبرتنا علي الهبوط ويمكننا الآن الخروج من الطائرة ونزلنا جميعًا من الطائرة ونحن نعلم أن هناك سببًا آخر غير هذا الذي سمعناه.. كان المطار مكتظًّا بالأمن والصحافة فأدركت أن هناك خطبًا ما بالرجل الذي قابلته لأني بحثت عنه بعيني ولم أجده من ضمن الركاب القليلين الذين نزلوا من الطائرة، جلسنا قليلًا في صالة الانتظار حيث قامت السلطات بالتحقيق مع أبي وأمي وكل الركاب عما حدث بالطائرة أثناء الرحلة وعلمت من حديث أبي وأمي أن الطائرة أقلعت مرة أخرى وأن الرجل ذا البدلة السوداء كان مختطفها حيث هدد الطاقم بتفجير الطائرة، بالطبع لم أصدق مثل هذه الترهات وانشغلت بألعابي وحديثي معها، حتى قامت السلطات بحجز طائرة أخرى لنا ذاهبة إلى مطار الأقصر ووصلنا إلى الفندق.. وكانت أمي لا تكف عن الحديث في الهاتف لصديقاتها بعد وصولنا للفندق بأنها قد واجهت الموت بعينيها وأنها قد اختطفت طائرتنا من قِبل إرهابي ملثم وأشياء من هذا القبيل بغرض التهويل وإثارة الإعجاب في نفوسهم، كنت غير مبالية بما تقوله ولم أهتم إلا بحديثها في جزئية محددة؛ وهي أن الشخص الذي يتحدثون عنه قام بالقفز من الطائرة بالباراشوت بعد أن أخذ مبلغًا كبيرًا من المال في الحقيبة وتحاول السلطات تتبعه أو أخذ معلومات عنه ولكن بلا جدوى حتى الآن.

والآن لقد مر أكثر من 15 عامًا على تلك الحادثة وكبرت وكبر معي عقلي وتغيرت نظرتي للأمور، أتذكر جيدًا عندما أحضر لي أبي جهاز حاسبًا آليًّا متصلًا بمودم إنترنت في المنزل لمساعدتي في أمور الجامعة، كنت أعلم أن هناك أرشيفًا إلكترونيًّا للصحف على الإنترنت ولذلك كانت أول جملة أبحث عنها هي «الرحلة 305 – طارق المصري» ليظهر لي الكثير من الأخبار عن فشل جهات التحقيق عن التوصل لماهية الشخص الحقيقي وراء عملية الاختطاف والسرقة وقرأت بعض الأشياء التي لم أكن أعلمها من قبل وحاولت ربطها بما رأيته ذلك اليوم على الطائرة.

كان الرجل يرتدي نفس البدلة بالمواصافات التي أتذكرها من لقائي معه، كان اسمه في سجلات الطائرة «طارق المصري» -تم اكتشاف أنه اسم مزيف فيما بعد- وأنه كان يحمل في حقيبته السوداء مواد متفجرة وقنبلة موقوتة، وأنه قام باستدعاء المضيفة وأعطاها ورقة تحمل ملاحظة موجهة لكابتن الطائرة «أنا أملك قنبلة.. قم بإبلاغ السلطات وتوجه لمطار النزهة وكن على اتصال معي طول الوقت حتى لا أقوم بضغط زر التفجير» وقام الكابتن بقراءة الملاحظة وأبلغ أن الطائرة مختطفة وأنه متوجه لمطار النزهة، وحينها أصدر المختطف أوامره إلى الكابتن بأن يبلغ السلطات بإحضار نصف مليون جنيه كاش فئة المائة جنيه وأربع مظلات قفز وعربة وقود لكي تملأ خزان الطائرة مرة أخرى وكل ذلك سيكون بالانتظار في المطار، وعند التأكد من أن كل شيء يسير على ما يرام سيطلق المختطف سراح الركاب جميعًا.

وبعد إحضار المال والمظلات وملء خزان الطائرة بالوقود سمح الخاطف للركاب بالنزول ثم قامت الطائرة بالإقلاع تجاه مطار مرسى مطروح في اتجاه حدود مصر الغربية، وأثناء الرحلة وجد الكابتن تحذيرًا في الكابينة من أن باب الطائرة قد فُتح وعندما ذهبوا ليروا الأمر وجدوا المختطف قد اختفى ومعه حقيبة المال ومظلتان، وكان التخمين الوحيد أنه قفز من الطائرة. وواصلت السلطات التحقيق والبحث عن هذا الشخص وقامت بتمشيط المنطقة التي يحتمل أنه قفز فيها إلا أنهم لم يجدوا أي خيط يدلهم عليه.

كانت تلك الرواية الرسمية لما حدث في الطائرة مع الرجل اللطيف الغامض الملقب بطارق المصري أو الداهية الخفي كما تلقبه الصحف المعارضة والصفراء في ذلك الوقت.

هرولت إلى صندوق ألعابي وأنا أبحث عن بطاقات أميرات ديزني فيه وعندما وجدتها ظللت أتفحصها وأنا أتذكر حديثه عن أن تلك الكروت هي نسخة قاموا بصناعتها، هل يملك مصنعًا أو محل ألعاب؟

تلك المعلومات قيمة جدًّا ولكني لن أدلي بها للصحافة أو للشرطة، بل سأقوم بتحقيقي الخاص بي أنا كي أصل لهذا الشخص وستكون تلك البطاقات هي الوسيلة التي ستقودني إليه!

وضعت الثلاث بطاقات أمامي وأنا أبحث في شبكة الإنترنت عن فروع محلات «خريستو» الموجودة في ظهر البطاقات واكتشفت أنه تم إغلاق الكثير من فروعها ولم يتبق منها إلا ثلاثة أفرع فقط بالدقي ومصر الجديدة والمعادي وقمت بتدوين عناوينها.. وذهبت إلى فرع الدقي،

وقمت بسؤال العاملين هناك عن مالك السلسلة وأخرجت بطاقات ديزني لكي يتفحصوها، وأكدوا أنهم لا يعلمون عنها شيئًا فهم حديثو العهد بالمكان ولا يعلمون شيئًا عن مالك السلسلة سوى أن اسمه هو الحاج سليمان القبطي وأن أولاده وأحفاده يقومون بإدارة أعماله ومشاريعه المختلفة والمنتشرة في أنحاء مصر، وإذا كنت أريد معلومات أكثر فهناك في فرع مصر الجديدة أشخاص قد يساعدونني فيما أبحث عنه.

وقمت بالذهاب إلى فرع مصر الجديدة بالكوربة وهناك طلبت التحدث مع مدير الفرع أو ربما أقدم شخص في المكان لأسأله أسئلتي الخاصة، ويبدو أن هناك شخصًا في انتظاري قام بتعريف نفسه إليَّ بأنه تامر القبطي حفيد الحاج سليمان القبطي وأنه يتولى الإدارة في هذا الفرع وسألني عن كيفية مساعدتي فطلبت منه معلومات عن مالك السلسلة أو من تلقبونه بالحاج سليمان القبطي وذلك لغرض البحث الأكاديمي والاستقصاء عن رواد الأعمال العصاميين في مصر، فقال لي إن الحاج كان موظف بنك فيما سبق، ولكن لظروف مرض زوجته وإهماله بإحدى العمليات المصرفية قام بتكبيد البنك خسارة كبيرة وطرد على أثرها من العمل وأصبح عاطلًا ثم توفيت زوجته، فعمل بائعًا بإحدى سلاسل محلات ألعاب خريستو وتدرج بالمناصب حتى استطاع أن يتولى إدارة فرع المعادي وتمكن فيما بعد من شراء السلسلة بأكملها بعد أن أفلس صاحبها وأصبح جميع عمالها مهددين بالطرد، ولكن الحاج سليمان قام بتثبيتهم وزيادة أجورهم وأصبح محل خريستو أقدم وأشهر محل ألعاب في مصر والوطن العربي.

وقمت بسؤاله: «من أين للحاج سليمان كل هذه الأموال؟ وما الذي رآه في محل ألعاب مفلس كي يشتريه بدلًا من الاستثمار في مجال آخر؟»

– لا أعلم، وأظن أن تلك الأسئلة لا أستطيع الإجابة عنها، لقد أعطيتك ما تريدين، المقابلة انتهت.

وهنا أخرجت صور الثلاثة كروت من حقيبتي لأريه إياهم، وقلت له: «أعطِ للحاج هذه الصور وقل له: إني ما زلت أحفظ السر ولا أريد إلا مقابلتك للمرة الأخيرة لكي أشكرك.»

وأعطيته الصور وخرجت من الفرع عائدة إلى المنزل.

ومر عليَّ ثلاثة أيام وأنا أفكر فيما هو قادم وقررت بعد أن لم أجد أي استجابة من عائلة القبطي أن أنسى الموضوع كليًّا وأن أركز في دراستي الجامعية.

وعند الساعة السادسة مساءً وجدت الهاتف يرن تبعه نداء والدتي: «هناء! هناك تليفون لك.»

ونزلت الدرج وأنا أتوقع أن المكالمة من إحدى زميلات الجامعة تطلب مساعدتي بإحدى النقاط التي شرحها الدكتور في المحاضرة، وضعت السماعة على أذني: «آلو!»

– آلو.. أ/ هَنَاء، إزيك، معاكي تامر القبطي، الحاج الكبير عرف إن حضرتك عاوزة تقابليه ووافق.

حضرتك ممكن تشرفينا بكرة في منزل العائلة بالمعادي، أعلى الفرع بتاعنا هناك الدور الثاني، الحاج هايكون بانتظارك.

– أنـا متشـكرة جـدًّا، أؤكـد لـك إني هاكـون عنـد حسـن ظنـك وظـن الحـاج.

– يـا ريـت حضرتـك ماترهقيـش الحـاج بأسـئلتك الكتـير، حـددي أسـئلتك وركزيهـا؛ لأن حالتـه الصحيـة ليسـت مسـتقرة.

– فعلًا؟ طب هو فاكر أحداث عن حياته زمان؟

– اطمنـي، هـو جسـمه بـس هـو الـلي فيـه علـة لكـن عقلـه وذاكرتـه كويسـين.

– تمام، شكرًا لحضرتك وأوعدك إني...

صوت السماعة تغلق بهدوء

كان قلبـي يـدق بعنـف وأنـا أفكـر أني عـلى وشـك مقابلـة شـخص قـد يكـون حـلًّا للغـز عجـزت عـن إيجـاده تحقيقـات دولـة بأكملهـا، وقـد يكـون مجـرد رجـل أعـمال عصامـي بـدأ حياتـه مـن الحضيـض.. في جميـع الحـالات أنـا الفائـزة.

وجـاء ميعـاد المقابلـة وذهبـت إلى فـرع المعـادي وصعـدت السـلم وطرقـت الشـقة لأجـد تامـر في اسـتقبالي قائـلًا: «اتفضـلي، الحـاج في انتظـارك.»

ودخلـت الشـقة التـي كان لونهـا الأسـاسي هـو الأصفـر الذهبـي كأني دخلـت أحـد القصـور في روايـة ألـف ليلـة وليلـة أو هوانـم جـاردن سـيتي، ثـم قـام تامـر بالطـرق عـلى بـاب إحـدى الغـرف وفتحـه لأجـد شـخصًا مسـتلقيًا عـلى السريـر يبـدو عليـه الكـبر الشـديد وحولـه الكثـير مـن المحاليـل والأجهـزة كأنهـا غرفـة طـوارئ بمستشـفى.

ويبدو أن الحاج سليمان كان بانتظاري فاعتدل من نومه وساعده تامر في الجلوس والاستناد بظهره على الوسادة.

قال محدثًا لي: «إزيك.. أقدر أخدمك إزاي؟»

– أنا كنت على متن الطائرة المتجهة إلى مطار الأقصر الدولي الرحلة رقم 305 اللي طارق المصري هدد فيها بتفجير الطائرة.

الرجل العجوز منفعلًا: «تقصدي إيه؟ أنا مش مستعد أضيع وقتي معاكي. موجهًا حديثه لتامر: إنت قلتلي إن غرضها هو البحث الأكاديمي مش خبر لجريدة صفراء.»

أنا: «لكن حضرتك لو ماكانتش الصور اللي إديتها لتامر أثارت جواك الحنين أو الفضول أو حتى الخوف ماكنتش قابلتني دلوقتي!»

رد الحاج سليمان بتفكير وتركيز في كلامها قائلًا: «أكملي..»

– أنا البنت الصغيرة اللي حضرتك أهدتها تلات نسخ تجريبية من بطاقات ديزني أما ضاعت مني في المطار، أنا لسة ممتنة ليك.

– وبعدين؟

– عاوزة أعرف بس ليه إدتني بطاقات فيها اسم أو عنوان ممكن يدل عليك؟ ليه سرقت المبلغ الكبير ده؟ وإزاي قدرت تنجح طول الفترة دي إنك تفضل متخفي عن عيون الشرطة؟

– مبدئيًّا، إنتي كبرتي أوي عن المرة اللي كنتي فيها بتبكي في المطار.

تامر مقاطعًا: «يا حاج! إنت بتقول إيه بس؟»

– شششش بس يا تامر. العمر ماعادش فيه بقية، خد كرسي واقعد اسمع حكايتي معاها.

«أنا إديتك الكروت لأنك كنتي بتفكريني ببنتي الكبيرة وهي بتبكي على مرض أمها وعجزنا عن تخفيف آلامها، ماكنتش بفكر بقى في إني هانجح في المخطط اللي كنت راسمه أو لأ، وبنسبة كبيرة كان عندي قناعة إني هاموت فمش هايشكل فارق في إني أرسم ابتسامة على وجه طفلة لكن الأهم إني ماكنتش هاستحمل بكاءك طول ما أنا جمبك..

صحيح، أنا ماكانش معايا قنبلة، دي كانت أسلاك ولعب وزجاجات على شكل قنابل والوحيدة اللي شافتهم كانت المضيفة، أصلها مش خبيرة مفرقعات يعني. ليضحك ثم يكح كحة قوية جدًّا جعلت عينيه تدمع من الألم.»

ثم أكمل: «أنا أما قفزت من الطيارة ونزلت في الصحراء اخترت بقعة من الأرض تبعد عن مطار مرسى مطروح بحوالي خمسة كيلومترات بالقرب من طريق إسكندرية مرسى مطروح وقمت بدفن المظلات في الرمال الكثيفة في الصحراء وذلك قبل أن يدركوا أن هناك احتمالًا أني قد قفزت بأمان من الطائرة، وقبل أن يصدر لهم القرار من الجهات الرسمية بأن يبدأوا عمليات البحث على أرض الواقع كنت قد عدت في نفس اليوم إلى القاهرة، ولكن للأسف القدر لم يمهلني الكثير وماتت زوجتي في نفس الأسبوع.. وحينها ظللت متخفيًا أصرف نقودي بحرص متسترًا في راتب بائع الألعاب حتى جاءت لي الفرصة لشراء سلسلة المحلات بعد أن أفلس صاحبها اليوناني وقرر الرجوع إلى بلده.

كنت أحاول نشر البسمة على وجوه الأطفال؛ لأن من الخطأ أن يبكي الأطفال على أمور الكبار، فإذا كانت ألعابي سببًا لتهوين الحزن فسأشعر بفرحة تقلل من حزني على فراق زوجتي.

أنا لا أخاف من أن تفشي سري فما عاد في العمر بقية، ولكني لا أستحق أن يذكرني الناس بعد موتي بأني كنت سارقًا بدلًا من صانع للسعادة والبسمة، القرار يعود لك.

مدي يدك في الدرج المجاور ستجدين تذكرة الرحلة 305، ستكون تذكارًا أخيرًا مني إليك وهي مكافأة لك على احتفاظك بسرنا الصغير كل هذه السنوات.»

وفجأة وبدون سابق إنذار وجدته يصرخ من الألم وأمسك بصدره وقام تامر بطلب الإسعاف له وتم وضعه بالعناية المركزة.

وقررت الذهاب إليه في المستشفى ولكنهم كانوا قد منعوا الزيارة عنه ولكني وجدت عائلته بالكامل حوله وأطفالًا من كل مكان وعائلات غريبة تدعو له بالشفاء لأنه كان سببًا في رسم الضحكة على شفاهم.

حينها أطللت عليه من شباك الغرفة وأنا أتمنى أن يسمعني وأنا أقول له: «سأبقى على العهد وأحفظ سرك أيها الداهية»، وذلك قبل أن تصدر أجهزة المستشفى صفير الطوارئ معلنة ذهاب روحه إلى خالقها، كأنه كان في انتظار سماع جملتي تلك قبل أن يرحل بلا عودة.

الشباك الرابع

ع ع ع ع ع ع ع ع

ع ع ع ع ع ع ع ع ع ع ع ع ع

ع ع ع ع ع ع ع ع ع ع ع

ع ع ع ع ع ع ع ع ع ع ع ع!!

ع ع ع ع ع ع ع ع

ع ع ع ع ع ع ع ع ع ع ع ع ع

ع ع ع ع ع ع ع ع ع ع ع ع ع ع ع ع

ع ع ع ع ع ع ع ع ع ع ع ع ع ع ع ع ع ع ع

ع ع ع ع ع ع ع ع ع ع ع ع ع ع ع ع ع ع ع

ع ع ع ع ع ع ع ع ع ع ع ع ع ع ع ع ع ع ع

شروق كمال

عربة القطار

بقلم .. شروق كمال

مـن نافـذة القطـار، تحـدق في الأشـجار الراكضـة عـلى جانـب الطريـق، وتتسـاءل داخـل نفسـها ضاحكـة، لمـاذا تسـابق تلـك الأشـجار القطـار؟ لمـاذا لا تقـف في مكانهـا وتكتفـي بالتحديـق في ملامـح المارِيـن دون أن تحـاول اللحـاق بمـكان لا يـأتي! اعتـادت أن تسـافر وحيـدة، لزيـارة أخيهـا الـذي يقطـن في محافظـة بحريـة، حتـى صـار السـفر الأسـبوعي طقسًـا أسـبوعيًّا لا يتغـير. كأنهـا تهـرب مـن نهايـات الأسـبوع، هـي تقـضي معظـم وقتهـا إمـا حبيسـة غرفتهـا متعللـة بمشـقة السـفر وإمـا عـلى شـاطئ البحـر لأنهـا تحتـاج لتغسـل وجـع أسـبوع العمـل.. تـرى، هـل تفتعـل مشـاعر مزيفـة لتهـرب مـن كلمـة.. نهايـات.

السـفر الحقيقـي دومًـا كان بـين مـدن أيامهـا، تلـوك الأحـداث والوجـوه حتـى تشـعر بمرارتهـا في حلقهـا فتبتلـع الذكريـات وتنهـض لتحتـسي بعـض أحـداث يومهـا الجديـد، هكـذا تعيـش مسـافرة طـوال الوقـت.

بعد أن نقَّلت نظراتها بين العينين الهائمتين للفتاة الجالسة قبالها وباقة الأزهار التي تحتضنها، تداعت الذكريات تطرق باب ذاكرتها، اعتاد أن يأتيها بزهرة صباحية كل يوم، واعتادت أن تنتظر زهرته كإعلان حقيقي عن بداية اليوم، كانت تقابله بابتسامة مشرقة كزهرة دوار الشمس ونظرة رقيقة كزهور الليلك، وتملأ طريقهما إلى العمل بهمساتها الحانية كزهور الياسمين، وهو كان حانيًا دافئًا كقهوتها الصباحية التي تحضرها له كل صباح في أكواب ورقية مميزة، يتضاحكان كصديقين ويتهامسان كحبيبين، والجيران يستمتعون معهما ببرعم الحب بين الخطيبين.. إلى أن جاء وقت السفر، سيسافر لجمع بعض الأموال، «وما حاجتنا أنت مستقر في عملك ولدينا ما يكفينا!» لكنه أصر واستسلمت هي لاختفاء الزهور الصباحية، كأنه سقط في ثقب أسود، أم أنه سقط في اختبار الغربة؟ الحقيقة أنه نجح في اختبار مشاعر الفتور بامتياز، «ربما علينا أن نبتعد قليلًا لنرى هل نحن قادرون على المحافظة على جذوة الحب»، البعد اختبار حقيقي ولكنه قاسٍ حين يكون قرار البتر أحاديًا، حين تكتشف أنك تشتعل داخل بوتقة من الثلج! كانت تجرجر أذيال أيامها وحيدة في انتظاره وهو لا يكتفي من أيام الغربة. ثم باغتها بطعنة النهاية، سيعود.. مع زوجته التي تحمل نفس جينات التطلعات التي لا تنتهي.

عادت بروحها إلى مقعدها في القطار بعد رحلة الذكريات، نظرت إلى المسافرة على المقعد المقابل وأردفت باسمة: «كنتُ أعشقُها مثلك تمامًا»، ردت الفتاة بنظرة متسائلة، فأردفت باسمة: «الأزهار يا عزيزتي،

كنت أعشق الأزهار لكن اكتشفتُ أنَّ الأزهار الاصطناعية.. أيضًا لطيفة، بشرط ألا تقتربي لتتفقَّدي تفاصيلها المزيفة، هي لن تحتاج إلى سُقيا ولا رعاية، وأنتِ لا تطلبي منها عطرًا ولا حياة.» قرَّبت الفتاة باقة الأزهار إلى صدرها، وقد اتَّسعت عيناها، أطرقت وهي تشعر بالحزن على محدِّثتها، التي تنهدت ثم غمغمت قائلة: «وضعي أصص الزهر الفارغة بعيدًا، فهي ستذكِّركِ دومًا بالتصَحُّر الممتد إلى مروج ذاتك»، ثم أشاحت ببصرها بعيدًا، إلى الأشجار الراكضة على جانب الطريق وهي تحدِّث ملامحها الباهتة على زجاج النافذة: «لن تعرفي أبدًا، متى تكون آخر الباقات.»

الشباك الخامس

ععع عععععع

عععععع ععع ععععععع

ععععع ععع ععع عععععع

ععع عع عععع .. ععععععع

عععععع ععع ععععع

ععععععععع عععععععع

عع ععع ععععع ععععع

ععععع عععع ععععععع

ععععع ععع عععع

ععععع عععععع عععععع

ععععع ععععععع عع

عععععع عععععع ععع

ع عععع عععع عععع

ع ع ع ع ع ع ع ع ع ع ع

ع ع ع ع ع ع ع ع ع ع ع ع ع

ع ع ع ع ع ع ع ع ع ع ع ع

شروق كمال

العائد من المجهول

بقلم : منى لبيب وإسلام سعيد

مـن نافـذة الأتوبيـس بينـما أستنشـق بعـض الهـواء النقـي البـارد حيـث كانـت السـاعة تـدق الحاديـة عـشرة قبـل منتصـف الليـل وأنـا في طريقـي للمشرحـة.. مشرحـة زينهـم لم أذهـب لـكي أسـتلم جثـة مـا.. بـل ذهبـت لاسـتلام عمـلي الجديـد كحـارس أمـنٍ بالـدور الأول مـن مبنـى المشرحـة الشـهير، وجـال بخاطـري وظيفتـي السـابقة كعامـل إدراي في إحـدى الـشركات الخاصـة ومـع الأزمـة الاقتصاديـة الطاحنـة والغـلاء قامـوا بتسريـح بعـض الموظفـين توفـيرًا للنفقـات، وكان مـن سـوء حظـي وجـودي مـن ضمـن الذيـن رحلـوا غـيرَ مأسـوفٍ علينـا، وبعـد الكثـير مـن البحـث عـن وظيفـة لائقـة اضطـررت لقبـول تلـك الوظيفـة خاصـةً بعـد أن وجـدت مقابلهـا المـادي مرتفعًـا نسـبيًّا بالنسـبة لباقـي الوظائـف المتاحـة أمامـي.

وفجأة وبدون سابق إنذار قطع حبل أفكاري صوتٌ غليظٌ يقول:

«اللي عاوز -اللهم احفظنا المشرحة- ينزل هنا...»

ونزلت من الأتوبيس وأنا أنظر إلى المبني القديم الروتيني والعفن الذي تفوح منه رائحة الموت والمجهول، كنت أشعر أن هُناكَ شيئًا ما ينتظرني، وظللت أفكر في أول ليلة لي مع الموتى، ولكن ظللت أردد لنفسي جملة واحدة:

«ما عفريت إلا بني آدم يا عادل.»

ظللت أردد تلك الجملة أملاً في تسريب الطمأنينة إلى قلبي ولكن تلاشت كل آمالي في الهدوء عندما استقبلني مجموعة من الناس بصرخاتهم المدوية على فقيد عزيز لديهم بداخل المشرحة وهم الآن على ما يبدو في انتظار استلام جثته بعد التشريح، شعرت بالأسف تجاههم وأنا أكمل طريقي إلى الدور الأول باحثًا عن أ/علي، مشرف الأمن في الشركة المتولية حراسة المبنى والتي سأعمل لديها.

قام أحد الأشخاص تطوعًا منه بإيصالي إليه وسمعت أثناء سيري أحدَ الأشخاص يتهامس مع زميلة على أن الشخص الجديد الذي سيحل محل عم أحمد الله يرحمه قد وصل المكان، أيقصدونني أنا؟ يبدو ذلك..

تبادر إلى ذهني فضولاً في أن أعرف كيف مات هذا الشخص خاصةً وأنا سأعمل مكانه، أعلم أنه فأل سيء، ولكن أكل العيش مُر.. فمجالسة الموتى أفضل من مجالسة الدائنين بالطبع.

قام أ/علي باستقبالي وإعطائي بعض النصائح وسلَّمَني الزِّي ومسدس الصوت العُهدة الذي أبلغني أنه لا أحد يعلم أنه مسدس صوت

لاعتبارات أمنية.. وقال لي إني سأصعد للدور الأول حيث سأقضي هناك ما تبقى من وردية الليل الأولى لي بالمشرحة.

وعندما صعدت وجدت مكتبًا خشبيًّا عتيق الطراز في آخر الممر وفوقه لافتة مكتوب عليها الأمن، كانت الإضاءة البيضاء الخافتة والمتقطعة في الممر الطويل تُسبِّب لي نوعًا من الصداع والرغبة في النعاس.

مرَّ الوقت ببطء وأنا جالس أتفحص المسدس الذي لا أعلم كيف ومتى أستخدمه؟ ومددت قدمي على المكتب محاولاً الاسترخاء وقتل الوقت..

وفجأة وجدت شخصًا يرتدي مريلة بيضاء ووجهه كان باهتًا بلا أي ملامح وكان يتقدم نحوي ودقات قلبي تتسارع بشدة وفجأة توقف واستدار ناحية اليمين ليدخل إحدى الغرف الموجودة بالممر.

لم أدرك أني أحلم إلا عندما سقطت على الأرض، حينها فقط شعرت بالاطمئنان قليلاً ونظرت إلى الغرفة التي دخل بها هذا الشبح لأجد أنَّ بابها مفتوحٌ؛ فتوجست أكثر وقررت الدخول كي أثبت لنفسي أنه حلم ليس إلا، وأن أحدهم قد نسي الباب مفتوحًا.

وعندما دخلت وجدت أحد أدراج الثلاجة الخاصة بالموتى مفتوحًا، لأرتعد من الرعب وأنا أتقدم تجاهها متمنيًا ألا يحدث شيء غير متوقع لي.

وكانت المفاجأة أنَّ نفس الشخص الذي حلمت به يرقد أمامي في الثلاجة فأغلقت الثلاجة وخرجت من الباب مسرعًا وأنا أتحدث مع زملائي في الجهاز اللاسلكي عن مكان القسم الذي يسُجّل فيه بيانات الموتى.

وقال لي إن السجلات بالدور الثالث، وعندما سألني عن سبب اهتمامي بها أخبرته أن لدي فضولاً عن أحد الموجودين بعنبر رقم خمسة في الدور الذي أقوم بحراسته، فقال لي: «يجب أن تعرف رقم درج الميت قبل أن تذهب لقسم السجلات والشئون الإدارية ولا تكثر من الكلام مع الموظف هناك فهو لا يكف عن الحديث ما إن تسنح له الفرصة فكن مقتضبًا معه واطلب المعلومة وارحل في هدوء».

وذهبت إلى قسم السجلات بعد أن أخذت رقم الدرج وصافحت عم حسن الموظف الذي يعمل هناك ويبدو أن ما أُشيع عنه صحيحٌ؛ فما انفك طلب التفاصيل منه حتى باغتني بأسئلة كثيرة عن حياتي وقمت بإعطائه إجابات مقتضبة حتى ذكَّرته بسبب مجيئي في الأصل؛ فطلب مني رقم الدرج وقلت له رقم 66.

ثم أخذ يبحث بالدرج الكبير عن ملف ما وهو يسألني لماذا تريد معرفة تلك التفاصيل في أول يوم عملٍ لي.. فرددت مقتضبًا: عندي فضول!

ولكن ملامح وجهه تغيرت تمامًا كأن ردي لم يعجبه..

وقال: هل أنت على سابق معرفة بعم أحمد الله يرحمه؟

قلت له: لا، ولكن لم السؤال؟

قال لي: إن الرقم الذي تبحث عنه هو نفس رقم درج عم أحمد حارس الأمن بالدور الأخير والذي توفي في نفس ورديتك.

عجز لساني عن الكلام قبل أن أسأله: كيف مات؟

منتحرًا باستخدام المشنقة في منتصف الممر ولا نعلم لماذا فعل ذلك حتى الآن.

وتركت عم حسن هذا حتى دون أن أشكره، ودون أن أقرأ الملف ونزلت إلى الدور الأول وعيناي لا تفارقان باب عنبر خمسة منتظرًا انتهاء الوردية بفارغ الصبر..

انتهت الوردية وانتهى معها أيُّ أملٍ بالنسبة لي لمزاولة أعمالي لاحقًا بتلك الوظيفة!!

فكيف أعمل حتى أقدر على مصاريف الحياة في مكانٍ خالٍ من الحياة؟

كيف أطَمْئِن نفسي أنَّ غدًا أفضل بمكان لا يوجد به غير غد لا ملامح له وحتى تفاصيله اليومية مليئة بالخوف والموت؟

هممت بالانصراف قبل الموعد المتفق عليه بنصف ساعة وواجهت وجومًا من شخص لا يقل فضولاً عن عم حسن وهو الموظف المسئول عن دفتر الحضور والانصراف، ونظر إليَّ وقال لي باستهزاء: نُص ساعة بدري.. إنت مُستجَدّ حضرتك، المفروض تورينا همتك في البداية وانتظامك بالمواعيد بدل ما انت عاوز تمشي بدري!

لم أدرِ إلا بنفسي وأنا آخذ منه القلم عنوةً وأوقع اسمي في الدفتر رغمًا عنه وسط ذهول الموجودين وانصرفت غير مبالٍ بأي شيء سوى ما حدث لي اليوم.

وجلست أمام شباك غرفتي المطلة على ميدان السيدة عائشة -رضي الله عنها- وأنا أحتسي الشاي بالنعناع وأحاول تهدئة نفسي وقتل الأفكار السلبية..

ووجدت نفسي ألقي برأسي على السرير وأصوات العربيات والناس في الشارع لم تمنعني من النوم.

ووجدت نفسي أجلس بنفس المكتب في العمل، ولكن فجأة سمعت رنة هاتفي المحمول ولكنه لم يكن بجيبي وبحثت عنه في كل الأدراج ولكنه لم يكن موجودًا فتتبعت الرنين الذي كان مصدره عنبر خمسة ووجدت أن مصدر الرنين من أحد الأدراج وفجأة فتح الدرج.. لأجد أن الجثة التي بداخله تنهض من مكانها وتعطيني الهاتف بيدها.. صرخت وأنا أجري وأستعيذ بالله من الشيطان الرجيم ووجدت نفسي نائمًا على السرير وأذان الفجر على وشك الإقامة ولم تكن لدي أي رغبة في استكمال النوم.

وجلست وأنا أنظر لعقارب الساعة ورجائي أن تمر الساعات سريعًا كي أذهب وأجد هاتفي وأبلغهم بعدم رغبتي في إتمام مهام عملي.. وعندما أشرق الصباح وذهبت للمشرحة ظللت أبحث عنه في كل مكان بلا جدوى، حتى طلبت من عم حسن أن يتصل بي بعد أن أعطيته رقمي وتطوَّع ليساعدني في البحث عنه في الأدوار المختلفة وكان آخر مكان نبحث فيه هو عنبر رقم خمسة وكانت المفاجأة أن صوت الرنين كان بالداخل وقال عم حسن إنه يوجد في هذا الدرج وأشار على درج رقم 66 وأنا في ذهول من أن ما حلمت به قد تحقق للتو.. وقفز إلى أفكاري سؤالُ عم حسن: ما الذي أتى بهاتفك إلى هنا؟ قلت له لا أعلم ربما قد نسيته عندما فتحت الدرج.

قال بتهكم: يبدو أن هذا الدور ملعون وكل من يعمل بذلك المكان يجن أو يموت.

ازداد خوفي حين قال عم حسن إنه يخاف عليَّ من مصير عم أحمد الله يرحمه؛ فهو كان يرى بعض التخيلات والأوهام في أيامه الأخيرة.. سمعت تلك الكلمات وأنا أشعر بأن قرار استقالتي من ذلك المكان هو القرار السليم.

ذهبت لشئون العاملين لأخبرهم بقرار استقالتي فلم أجدهم فذهبت لغرفة السجلات المجاورة لهم وطلبت من عم حسن أن يتولى تلك المهمة وأبلغني أنه سوف يقوم بإنهاء كل شيء، وطلب منِّي أن أذهب لمسكني وأنام لما بدا عليَّ من الإرهاق وقلة النوم.

ذهبت للبيت مسرعًا وغير مستوعبٍ ما حدث وقمت بالخلود إلى النوم فورًا حتى يستريح عقلى من التفكير في كل ذلك.

ما إن وضعت جنبي على السرير إذا بهاتفي يرن برقم مجهول ورددت عليه بخوف وترقب لأجده هو؛ «عم أحمد» وهو يصعد على الكرسي قبل أن يضع رأسه بالمشنقة، حاولت أن أجري إليه ولكك كان الأوان قد فات وقلت له وأنا أبكي «لماذا انتحرت؟ لماذا تظهر لي كل مرة؟ ووجدته يرفع ثلاثة أصابع من يده قبل أن أستيقظ من هذا الكابوس وأنا مفزوعٌ وعطشان... يا له من كابوسٍ أشبه بالحقيقة.. وجلست أفكر فيما حلمت به وماذا يقصد برقم ثلاثة؟ هل يقصد الدور الثالث أم أنه يشير إلى ثلاثة أشخاص أو أشياء؟ لا أعلم ولكن يجب عليَّ معرفة تفاصيل حادث الانتحار.

ذهبت ليلاً قبل ميعاد ورديتي بساعتين وسألت عن عم حسن وأبلغوني أنه قد أخذ إجازة عارضة اليوم وسافر إلى بلده وعلى ما يبدو أنه قد نسي أن يبلغ الشئون الإدارية باستقالتي لأنهم لم يتحدثوا معي عن أي شيء سوى طريقة انصرافي من يومين.

وجدت من يعمل مكان عم حسن شابًا وسيمًا اسمه مازن وعلمت أنه بتلك الوظيفة في وردية النهار منذ ثلاث سنوات وجلست معه أحتسي الشاي إلى أن يأتي ميعاد الوردية، وتطرقت للحديث عن عم أحمد الله يرحمه وشخصه.

قال لي: إنه كان في بداية الخمسينيات من عمره، وكان رجلاً كريماً طيباً جداً ويحبه الجميع وبدأ عمله في نفس الوقت الذي بدأت به هنا بعد أن استقال من وظيفته كأمين مخزن بإحدى شركات القطاع الخاص، وأراد وظيفة تساعده على صعوبات الحياة بجانب الإيراد الذي يأتي له من أرضه وهو لم يرزق بأولاد، وتوفت زوجته الأولى من خمس سنوات وجاء عم حسن بعروس تصغره بعشر سنوات من بلدته وتزوجها منذ سنتين، وكان كل يوم يأتي مهمومًا من افتعالها للمشاكل وكنا جميعًا ننصحه بأن يطلقها وكان يرفض قائلاً: هي يتيمة في المقام الأول وأنا وهي مقطوعين من شجرة وربما فارق السن بيننا هو السبب، غدًا ستنضج وتعلم ما أفعله لأجلها.

وقبل موته بأسابيع بدت المشاكل بينه وبين زوجته تتفاقم وكان يبدو عليه الإعياء وقلة النوم كان ذلك واضحاً عليه وتغيرت شخصيته وكأنه أصبح مدمنًا أو مجنونًا.

وقبل ميعاد ورديته بثلاث ساعات وفي أول أيام عيد الأضحى وُجد مشنوقًا في الممر مثلما قد سمعت وبأحد جيوبه ورقة تُقر بانتحاره.. وحتى وقتنا هذا لا يصدق الجميع ما حدث.

سمعت كل ما قاله مازن بحرصٍ بالغٍ وبدأت في استنتاج نظرية ما وطلبت منه عنوان منزله بحجة أني أريد أن أذهب بزوجته لأرى إن كانت تحتاج أيَّ مساعدة وبالطبع لم يكن هذا السبب الرئيسي.

وسألته عن إذا تمَّ تقسيم تركة عم أحمد على الورثة أم لا؟

وقال لي مازن: لا عم أحمد ليس لديه وريث إلا زوجته وطالما القضية لم يتم غلقها فلن يتم توزيع أي شيء من التركة وحتى الآن لا ندري متى سيحدث هذا، ولكن جاءتنا أخبار شبه مؤكَّدة أنه سيغلق قريبًا وسيتم استخراج تصريح الدفن واستدعاء زوجته لاستلام الجثة.

دفعني فضولي ورغبتي في معرفة الحقيقة إلى الذهاب لمكان سكن عم أحمد، وقمت بسؤال الجيران الذين امتنعوا عن الحديث معي متعللين بأنهم لا يريدون الخوض في عرض الرجل الميت، ولكن استطعت بأن أعلم منهم من خلال إحدى الروايات أن زوجة عم أحمد كانت على علاقة غير شرعية مع أحد الأشخاص وعلم عم أحمد بذلك ولكنه كان يحبها ولم يستطع طلاقها ولا إرجاعها عما تفعله فأقدم على الانتحار هرباً من عاره ومن حبه المغدور به.

وأثناء سماعي لحكاوى أحد الجيران كنت أجلس وأنا أدير ظهري للبيت، وفجأة صاح هذا الجار قائلاً لي: شوف يا بيه الراجل ده بيطلع

وينـزل مـن بيـت الراجـل الـلي مـات وبتسـأل عنـه وأمـا حاولنـا نمنعـه قبـل كـده قـال إنـه قريبهـا مـن البلـد، إحنـا متأكديـن إنـه عشـيقها.

وقاطعـت الجـار وشـكرته وذهبـت وراء هـذا الرجـل ووجدتـه يذهـب لأحـد الأكشـاك لـكي يشـتري سـجائر وهنـا رأيـت وجهـه وكانـت الصدمـة أنـه عـم حسـن عامـل السـجلات، هـو مـن كان يخـون عـم أحمـد مـع زوجتـه.

وقـررت الرجـوع للمشرحـة لسـببٍ واحـدٍ وهـو الانتقـام لـروح عـم أحمـد والقصـاص مـن زوجتـه وزميلـه الخائنـين.

ودخلت المشرحة وصعدت للدور الثالث وتحدثت مع عم حسن:

- إزيـك يـا عـم حسـن؟ حمـد اللـه عـلى السـلامة مـن أجازتـك .. حلـوة البلـد مـش كـده؟

-اللـه يسـلمك يـا عـادل .. آه طبعًـا بترجَّعنـي شـباب تـاني يـا ابنـي.. أنـا لازم أعزمـك عندنـا يـوم.

-كم مرة عدت عليك جثة واحد خائن يا عم حسن في المشرحة؟

-تقصد في السجلات عندي؟ آه كتير بس ليه.

-لا النهـارده أنـا بـس الـلي هسـأل وانـت هتجـاوب، إنـت اتكلمـت كتـير وده دوري.

- وإيه رأيك يا ترى في جزاء الخائن أو الزاني؟

ردَّ بارتباك ملحوظ.. إنت بتقول إيه؟ أنا مالي بالموضوع ده.

- لا مالك ازاي! إنت خُنت زميلك وطعنته في شرفه.

- هو اللي كان مقصر مع أهل بيته وكنت متفق معاها على الجواز بعد ما تطلق منه، هي كانت محتاجة حد يحتويها وكانت بتحب تسمع كلامي بعكس جوزها اللي كان مهملها.

- إنت دلوقتي سقطت من نظري مش عشان رغاي وفضولي لا وكمان خائن وبتبرر لفعلتك.. بس إنت قتلته إزاي؟

- أنا هقولك قتلته ازاي.. وسحب عم حسن المسدس منِّي موجهًا لرأسي إياه قائلاً: هقتلك وهقول إن الحارس المستجد كان بيلعب في المسدس ومات وإن دي لعنة عم أحمد.

- طب قولي قبل ما تقتلني ازاي قتلت عم أحمد؟

- قتلته عشان كنت بحب مراته وبغير عليها منه.. ماكانش يستاهلها.. كانت كتير عليه.. كنت بديها مهلوسات تحطهاله في الأكل.. كانت بتجيبله اكتئاب وبتخليه عصبي وفي يوم قررنا نخلص منه بعد ما اكتشف علاقتنا وحطيت له مخدر ونام وبعدين شنقته في الحبل وكأن هو اللي انتحر.. إيه رأيك في خطتي؟ عبقري مش كده؟

- عبقري آه بس كل كلمة اتقالت اتسجلت وهتتسجن يا عم حسن.

وهربت مسرعًا وحاول عم حسن إطلاق النار عليَّ ليكتشف أنه مسدس صوت فقط.

وقمت بإبلاغ الشرطة التي قبضت على عم حسن بعد أن هرب وتم القبض على الزوجة الخائنة التي اعترفت بمساعدة عشيقها في قتل زوجها.

وأغلقت الستار على تلك القصة وعلمت أن جثة عم أحمد ستدفن بمقابر الصدقة وذهب جميع من في المشرحة لصلاة الجنازة عليه ودعونا له بالرحمة والمغفرة وذهبت لحال سبيلي عائدًا للمشرحة التي أصبحت فيها أشهر من الدكاترة الشرعين ومن رئيس المصلحة شخصيًا وذلك بعد انتشار قصة إيقاعي بالجناة..

ومنذ ذلك الحين توقف عم أحمد عن الظهور في أحلامي، وأكملت عملي في نوبة الحراسة الليلية حتى جاءت لنا جثة شخص منتحر كتب في خطاب انتحاره أنه مسافر عبر الزمن وشاهد نهاية هذا العالم وأن النهاية قريبة.. قريبة جدًّا...

الشباك السادس

ععععع ععععععععع ععععع عععععع

عععع ععع

عععععع ععععععع ععع عععععععع

ععععع ععععع ععععععع عععععع ععععععع عععععععع

عععععععععع

عععععع عععع ععععععععع ععععع عععع ععععععع

عععع عععع ععععع ععععععععع

ععع عععععع ععع عععععع عععععع

ععع ععععع ععععععع عع عععععع

ععع عععععععععع ععع ععععععع

ععع ععععع عععععع ععع عععععع

عععععع عععععع

عع عععععع عععععع ععععع عععععععع عععععع

عععععع ععع

ععععع عععععع عععععع عععععع ععععع عععععع

شروق كمال

قسوة العشق

بقلم.. دانة الخياط

أطل من نافذتي المواجهة للبحر، أحدق في الأمواج المتلاطمة على الصخور المتراصة بعفوية، قبل أن تصطدم عيناي به من جديد. التقيته ذات مساء عند شاطئ البحر، رجل في أواخر العقد الرابع من العمر، عليه أثر الحزن، أعمى العينين، يجد طريقه بمساعدة العكاز، أشعث شعر الرأس واللحية، زاهد في ملبسه وهيئته، يصمت قليلًا ثم يرتفع صوته فجأة قائلًا:

«أي نعمة إن لم تحافظ عليها تنقلب إلى نقمة.»

ثم يصمت ليعود للصراخ مرة أخرى مردداً نفس العبارة: «أي نعمة إن لم تحافظ عليها تنقلب إلى نقمة! أين أنتِ يا ياسميني؟ عودي إليَّ، عودي يا صاحبة القلب القاسي الذي ينبض عشقًا!»

ساءلت نفسي هل بهذا الرجل مس من الجنون؟ ودفعني فضولي لأسأله: «ما حكايتك؟ أخبرني؟»

فأجابني بصوت متهدج مبحوح متعب: «عدني بأن تسمع حكايتي من بدايتها إلى منتهاها فحكايتي طويلة..»

فقلت له: «لك مني عهد وميثاق، أعدك بسماع قصتك إلى منتهاها»، فارتسمت على محياه علامات الراحة وكأنه وجد من يحمل عنه أثقالًا أنهكته، وبدأ بالكلام فقال:

«أتذكُر تلك الحكاية القديمة، قصة الملك شهريار مع شهرزاد؟» فأومأت برأسي، فقال: «تلك الحكاية شديدة الشبه بحكايتي مع اختلاف النهايات، فكما كان الملك شهريار يكره النساء ولا يركن لهن ولا يثق بعهودهن كنت أنا كذلك فلا آمنهن أبدًا، فقد عشقت إحداهن حد الجنون، وفاجأتني بخيانتها، آلمتني، قتلتني، جرحت كرامتي، وداست على رجولتي، ومن يومها عاهدت نفسي على كرههن والتلاعب بمشاعرهن، والتملص من وعودي المزيفة لهن، وما زلت على ذلك ليالي طويلة وسنوات عديدة.. ولم تكن مهمتي صعبة، فقد كنت ساحرًا للنساء الغبيات الحمقاوات بعضلاتي المفتولة، وبشرتي السمراء التي سفعتها أشعة الشمس، ووسامتي، فضلًا عن مركزي المالي المرموق.

ومضت أيامي، وذات صباح بعد ليلة عنيفة من العهر والشراب، توجهت إلى أحد المقاهي طالبًا قهوة تزيل ألم رأسي، وهناك التقيتها، صبية بهية، رقيقة كالنسمة، شفافة، هادئة، تحيط بها هالة من السكون، تمسك بقلم وتكتب، مذ وقع بصري عليها رق قلبي لها، وخفق ذلك الخفقان الذي عرفته في طفولتي البريئة، لا أعلم ما سرها، ولا علم لي بسحرها الذي جذبني إليها.. أخذت أرقبها وهي منهمكة في

الكتابة، أجاهد بصعوبة تلك السوسة التي تنخر برأسي وتقول لي: «لا تأمن للنساء ولا تركن لهن.. أنسيت؟»

فخرجت من فوري، ولم ألتفت لها، لكنها شغلت بالي وفكري، وأبعدتني رويدًا رويدًا عن تلك السهرات ومجونها، ولم أستطع إلا العودة إلى ذلك المقهى، وسألت النادل عنها وعرفت أنها اعتادت القدوم إلى هذا المقهى يوميًّا حيث تجلس بهدوء تكتب مقالاتها فهي كاتبة في مجلة لها قدرها ووزنها، وما إن انتهى حتى ظهرت وأخذت مكانها. ويومًا عن يوم ومع المراقبة تأكدت من عفتها وطهارتها ومسلكها السوي، وتشجعت وحادثتها متحججًا بكتاباتها ومناقشًا لها، فوجدت من فصاحة لسانها، وذكاء تصرفها، وسعة ثقافتها، وخجل الأنثى بها، ما جعل محبتها تأخذ بمجامع قلبي. وتزوجتها، وتوجتها ملكة على قلبي، بل ومالكة له، ورأيت منها الكثير الكثير من المليح، فمن فرط حبها لي اختصرت الرجولة في ذاتي، ومن فرط إخلاصها اختصرت عالمها في شخصي ولم يعد العالم يعنيها، وأصبحت ممتلئة بي ولا مكان لأحد في قلبها غيري.

ومرت الأيام هانئة رائقة، حتى جاء ذاك المساء التعيس من مساءات الحياة، وعدت إلى البيت ولم أجدها، وبدأت تلك السوسة اللعينة تنخر في رأسي وتذكرني بما مضى وتلومني وتعاتبني.. «ألم أقل لك لا تركن إلى النساء ولا تثق بعهودهن، كلهن سواء، كلهن خائنات..» واستمرت في النخر إلى أن حضرت ياسمين وقالت لي بأنها خرجت مسرعة عندما بلغها أن والدتها مريضة ولم تتمكن من الاتصال بي، فابتسمت

بركـن فمـي ولم أصدقهـا، وانهلـت عليهـا بالشـتائم والإهانـات.» وأطـرق الرجـل برأسـه وعـلى وجهـه مزيـج الأسى والنـدم، فاحترمـت ذلـك، وسـاد صمـت عميـق.

ثـم أكمـل قائـلًا: «لم أكتـفِ بإهانتهـا بالـكلام، بـل دفعتهـا بيـدي دفعـة قويـة أسـقطتها أرضًـا، وارتطـم رأسـها بحافـة منضـدة رخاميـة.. عندهـا فقـط أفقـت غـير مصـدق لمـا حـدث، يـا لغبـائي! يـا لقسـوتها! فارقتنـي مـن فورهـا..»

وسـالت دمعـات حـارة مـن عينيـه مسـحها بباطـن كفيـه، وزفـر رفـرة زفـرة مكلـوم وقـال: «سـت سـنوات كوامـل مضـت وأنـا هائـم عـلى وجهـي، أتمنـى أن تعـود لي ياسـميني، أتمنـى أن تعـود لي بحبهـا وحنانهـا فأعتـذر لهـا وأسـألها الصفـح.. تبًّـا لي ولغبـائي! تبًّـا لرجولتـي المزيفـة! تبًّـا لتلـك السوسـة التـي دمـرت حيـاتي، وأفقدتنـي حبًّـا نـادر الوجـود!» ونهـض الرجـل ومـشى تحـت جنـح الظـلام وهـو ينـادي: «أيـن أنـت يـا ياسـميني، أيـن أنـت يـا صاحبـة القلـب القـاسي الـذي ينبـض عشـقًا.. أي نعمـة إن لم تحافـظ عليهـا تنقلـب إلى نقمـة..» حتـى اختفـى الصـوت واختفـى كل أثـر للرجـل.. أمـا أنـا فأدركـت أن الرجـل ليـس بـه مـس مـن الجنـون، إنمـا هـو مـس الألم والحـسرة والنـدم عـلى حـب رائـع كان بـين يديـه وأضاعـه.

الشباك السابع

ع ع ع ع ع ع

ع ع ع ع ع ع ع ع ع ع ع ع ع ع ع ع

ع ع

ع ع ع ع ع ع ع ع ع ع ع ع

ع ع ع ع ع ع ع ع ع ع ع ع ع ع ع ع

ع ع ع ع ع ع ع ع ع ع ع ع ع ع ع ع

ع ع ع ع!

ع ع ع ع ع ع ع ع ع ع

ع ع ع ع ع ع ع ع ع ع ع ع

ع ع ع ع ع ع ع ع ع ع ع ع

ع ع ع ع ع ع ع ع ع ع ع ع ع ع ع ع

شروق كمال

122 طوارئ

(مقتبسة عن قصة حقيقية)

بقلم.. إسلام سعيد

دعوني أولًا أقترب من النافذة لأستنشق بعض الهواء، فمجرد تذكر أحداث تلك الليلة تصيبني بالقشعريرة وتجعل مساحات الهواء تتقلص داخل رئتي.

كان يومًا عاديًّا من أيام عملي في خدمة المكالمات العاجلة التي تعرفونها باسم خدمة «122 طوارئ» وذلك لاستقبال المكالمات الطارئة من مختلف أنحاء الجمهورية، كنت أقف أمام النافذة الزجاجية التي تطل على أحد ميادين القاهرة أتناول النسكافيه السيئ المذاق بجانب سيجارتي وأنا أستعد للوردية المسائية، وهي نفس الوردية التي أتت فيها تلك المكالمة التي غيرت مجرى حياتي للأبد وأحتاج منك يا من

تقـرأ رسـالتي هـذه أن تسـاعدني في تفسـيرها لربمـا تسـتطيع أن تصـل إلى الجـزء المفقـود منهـا!

تلقيـت تلـك المكالمـة في يـوم 9 مايـو 2018 في السـاعة 8:43 مسـاءً وكان فحواها كالآتي:-

أنا: «خدمة النجدة مع حضرتك، إزاي أقدر أساعدك؟»

المتصلة: «الحقوني.. فيه حد اقتحم بيتي وكسر زجاج الحمام.»

- ممكن تشرفيني باسمك وعنوان حضرتك؟

- اسـمي أمينـة، سـاكنة في فيـلا رقـم 4 شـارع الأهـرام في الهضبـة العليـا بالمقطم.

وهنـا وجـدت قلبـي يـدق بشـدة حتـى كاد أن ينخلـع مـن مكانـه! فقـد تذكـرت خطيبتـي السـابقة التـي كـسرت قلبـي وشردت للحظـات في صحـراء الأفـكار وأنـا أشـعر بوجـع في صـدري، منتبهًـا أني في وسـط مكالمـة عمـل يجـب أن أتعامـل معهـا.

- حضرتك بتقولي إن فيه حد اقتحم الفيلا؟

- أيـوة سـمعت حـد بيكـسر زجـاج الحـمام. أعتقـد إن فيـه حـد دخـل الفيـلا مـن خـلال شـباك الحـمام.

- تمام، حضرتك عايشة لوحدك؟

- أيوة.

- حضرتك ما زلتي جوه البيت ولا خرجتي؟

- أنا في الأوضة اللي فوق، ماخرجتش.

– عاوز حضرتك تحتفظي بهدوئك لحد ما نبعت حد ليكي.

– بسرعة من فضلك، أنا مستخبية في الأوضة اللي فوق الحمام ولو حد حاول يطلع عندي هاسمع صوت رجله على السلم الخشب.

– طب سمعتي أصوات تانية؟

– لا، لغاية دلوقتي.

– تمام، ثانية واحدة واوعي تقفلي السكة، خليكي معايا.

وهنا أدركت أنها عملية اقتحام وسرقة عادية وأكملت كلامي.

– أمينة إنتي معايا على الخط؟ فيه اثنين ضباط جايين ليكي على عنوانك، مين عايش معاكي في الفيلا؟

– أنا لوحدي ومعايا القطة بتاعتي، صحيح! هي فين؟ أنا مش شايفاها!

– ماتقلقيش عليها، هي أكيد كويسة، محتاج منك تتفضلي جوه أوضتك وتكوني هادية لحد ما توصل القوة الأمنية.

– حاضر، هاحاول.

– حضرتك شغالة إيه؟

– (بانفعال) ده وقته؟ بقولك فيه حد اقتحم الفيلا!

– يا أ/ أمينة، أنا مدرك إيه اللي أنا بقوله وبحاول أخليكي تركزي معايا لحد ما توصل القوة، ممكن؟

– (بنفاد صبرٍ) شغالة دكتورة في مستشفى المقطم التخصصي.

– من مدة قد إيه سمعتي الزجاج اتحطم؟

– مـن 15 دقيقـة بالضبـط وكلمتكـم علطـول بعـد مـا جريـت عـلى أوضتـي، إنتـوا هاتوصلـوا إمتـي؟

– القوة في طريقها ليكي، مجرد دقائق ويوصلوا.

– يا رب يوصلوا بسرعة، أنا بموت من الرعب.

– الباب عندك مقفول كويس؟

– أعتقـد آه.. أعتقـد إنـه مقفـول كويـس، أنـا حاسـة إن جسـمي اتخشـب مـن الرعـب.

– من فضلك خليكي هادية وخدي نفس عميق.

صوت أقدام أمينة في الغرفة

– آه الباب مقفول كويس.

– تمام، سامعة أي أصوات غريبة صادرة من تحت؟

– لا الدنيـا هاديـة جـدًّا! ممكـن أنـزل أتأكـد مـن إن كل ده مـش مجـرد وهـم وإن الموضـوع مـش مـن نسـج خيـالي؟

– لا خليكي مكانك من فضلك.

– إنـت متخيـل ممكـن مايكونـش فيـه حـد تحـت أصـلًا؟! أنـا هابـص بصـة سريعـة مـن فـوق السـلم إذا كان بـاب الحـمام مفتـوح ولا مقفـول، ولـو مفتـوح هارجـع الأوضـة تـاني.

– لا مـن فضلـك خليـكي مكانـك لحـد مـا توصـل القـوة وهـي هاتتعامـل مـع الوضـع الحـالي، أمينـة؟ إنتـي معايا؟

صوت باب يُفتح ثم صوت طرقات أقدام على الخشب

- باب الحمَّام مقفول زي ما هو، الحمد لله.

- تمام ممكن ترجعي أوضتك تاني؟

- بس نور الحمام مقفول ومش شايفة حاجة خالص بسبب قزاز الباب، ممكن تكون إزازة البيرفيوم وقعت واتكسرت جوه.

- من فضلك، ارجعي أوضتك لحد ما نتأكد إيه اللي بيحصل عندك، أمينة؟

- أنا هاتأكد من إن ممكن تكون كيتي هي كسرت الزجاج.

- أمينة من فضلك لأ، لكن مين كيتي؟

- القطة بتاعتي.

- هي أكيد كويسة ماتقلقيش.

- كيتي كيتي.. حبيبتي إنتي فين؟

رددت عليها بصوت عصبي بعد أن نفذ صبري: «لازم تفضلي هادئة ومستخبية حفاظًا على حياتك لحد ما الضباط يوصلوا عندك.»

-أنا بنادي على كيتي ومش سامعاني، أنا خايفة تكون جوه الحمام وكسرت الزجاج واتعورت.

- ماتدخليش جوه، للمرة الأخيرة باطلب ده منك حرصًا على سلامتك، أمينة؟

صوت باب يُفتح

- يا لهوي آاااااااه آاااااااااااااااااااااااه!

- أمينة إيه الوضع عندك مالك؟

– رجـلي بتنـزف! إزاز دخـل في رجـلي، المـرآة في الحـمام متكـسرة وزجاجهـا واقـع عـلى الأرض، الشـباك بتـاع الحـمام سـليم ومقفـول أعتقـد إن مافيـش حـد اقتحـم الفيـلا.

– (بنفاد صبر) على العموم القوة بلغتني إنها قربـــ-

– لا لا الحقني!!

صوت تنفس بصعوبة بالغة

– أمينة، أمينة، في إيه عندك؟

ومـا زال صوتهـا وهـي تحـاول التنفـس بصعوبـة في التليفـون يـتردى صـداه في التليفـون.

– فيه راجل قاعد جوه البانيو.

– إيـه! بيعمـل إيـه جـوه؟ اوصفـي شـكله مـن بعيـد واطلعـي واقفـلي بـاب الحـمام.

– أعتقـد إنـه نائـم بـس فيـه دم عليـه وهـو عريـان خالـص، إحسـاسي بيقـولي إني عارفـاه!

– هو بينزف؟

– آه من ودانه الاتنين.

– تمـام هـو غالبًـا فاقـد للوعـي، فيـه مسـعف هايكـون موجـود مـع القـوة وهيتعامـل معـاه.

-المتصلة: «استني! يا ربي... (سَلَامٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ)، ده عصمت)!»

– إنتي عارفاه؟ عصمت مين؟

- عصمت جوزي!

- بس إنتي قلتي إنك لوحدك؟!

- «اللَّـهُ لَا إِلَـهَ إِلَّا هُـوَ الْحَـيُّ الْقَيُّـومُ لَا تَأْخُـذُهُ سِـنَةٌ وَلَا نَـوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّـمَاوَاتِ وَمَـا فِي الْأَرْضِ»

- أمينة استمري في الكلام معايا، إنتي قلتي إنك لوحدك في الفيلا.

- أنا قلت كده لأن جوزي مات في 2010.

- أمينة اطلعي السلم وارجعي أوضتك واقفلي بابك عليكي.

- لكـن هـو مـش صغيـر.. يـا ربي.. سـلام قـولًا مـن رب رحيـم، مـش هو.. مـش هو؟

- أمينة، مش هو إيه؟

- مش عصمت، بس عنده نفس الشامة اللي على كتفه.

- مش فاهم حاجة!

- هـو صغـير جـدًّا عـن عصمـت الـلي أعرفـه، كأنـه زي أول مـرة اتقابلنـا فيهـا مـن 20 سـنة!

- الضباط وصلوا الفيلا، ممكن تفتحي الباب ليهم؟

= افتحي إحنا النجدة!

- إنتي معايا؟ النجدة وصلتك أكيد.. ده صوتهم اللي أنا سمعته؟

= مـدام مـن فضلـك ابعـدي عـن طريقنـا لحـد مـا نشـوف مـين الـلي في الحـمام.

صوت تهشم الزجاج في الأرضية بيتحطم تحت الأقدام

=ده فاقد الوعي.

من إمتى وهو قاعد في البانيو؟

- مش عارفة!

= تهتك بالأذن، النبض ضعيف جدًّا 40.

وأُغلقت السماعة.

وعلمت بعد ذلك أن هناك جهة سيادية ما قامت بالوصول إلى المكان بعد ساعتين من وصولنا للفيلا وقاموا بطرد جميع من في المنزل من أفراد الشرطة المدنية وتولوا هم الأمر برمته وحذرونا من التحدث للصحافة أو أي شخص في الأعلام، واختفت أمينة والشخص الذي تدعي أنه زوجها معها ولم نسمع عنهما أي شيء حتى الآن.

وفسر بعض زملائي الذين حضروا الواقعة بأن الشخص الدخيل ما هو إلا ضحية تجربة سرية فائقة الخطورة وهذا كان سبب هرولة الجهات السيادية على الفيلا.

أعلم أن هذا الموضوع قد يكون سبب في فقداني لوظيفتي وربما ما هو أكبر، ولكن أشعر أنه كان لزامًا عليَّ أن أترك خيطًا لكم ربما يستطيع أحدكم معرفة ما حدث هناك في فيلا المقطم وما سيحدث لي إذا اختفيت فجأة من الوجود، فقد قررت أن أذهب بنفسي للفيلا بعد أن جاءتني رسالة من رقم مجهول تقول: «إذا كنت تريد أن تعرف ما حدث هناك في الفيلا فيجب أن تكون هناك وكُن حذرًا فربما تكون رحلتك ذهاب بلا عودة.»

لذلك قررت الذهاب إلى هناك وسأحل اللغز وإذا قُدر لي العودة فسأقص عليك ما حدث، ربما أنجو

الشباك الثامن

ععع عععععع عععع ععععع

ععععع عععع عععععع

عععع ععععع ع

ععععع عععععععع

ععع عع ععععع ععععع ع

عععع عع عععع ععععععع

ععع عععععع عع ععععع

ععععع ععععع

عععع ععععع ععععع

ععععع ع ععععع ععع

عع عع ععععع ععععع

عع عع عععع ععععع ععععع

ععععع ععععع ععععع

ععع ععع ععععع

عععععع ع عععععع

ععععع ع ععع ععععع عععع

عععع ععععع ععع عععع

عععععععععع عععع

ععع عععععع

عع عع ععع عععع عععع

عععع عععع !

عععع عععع عععععع ع

عع ععع ععععع

ععععع عععع عععع

عععع ععع ععععع

عععع ععععع ععععع

شروق كمال

من المِحَن تأتي المنح

بقلم: منى لبيب

مـن نافـذة بيتنـا القديـم القاطـن بإحـدى المناطـق الشـعبية والـذي يحتـوي عـلى كل الذكريـات الجميلـة ورائحـة المـاضي العريـق الـذي نبتـت فيـه شرارة أول حـب لابنـة الجـيران، وأول حلـم حلمـت بـه بـأن أصبـح مهندسًـا معماريًّـا لتصـدع بيتنـا ونحـن صغـار ولهلـع أمـي وأبي حينهـا وهـما يبحثـان عـن مهنـدس معـماري لديـه ضمـير يعالـج تلـك الشـقوق.. مـن ذلـك البيـت الـذي يحتـوي عـلى الـدفء الـذي لم أجـده في أماكـن أكـثر فخامـة منـه تربيـت وكـبرت مـع سـفير الحـب «أبي» فقـد كان أبي حنونًـا جـدًّا ويعشـق حبيبتـه « أمـي» عشـقًا لم أعـد أراه الآن في أي بيـتٍ أدخلـه؛ فقـد أصبـح زمننـا يخلـو مـن قيمـة المشـاعر ومثلـما كان حبـه لأمـي غريبـا كان حبـه لنـا أغرب..كنـا حرفيًّـا رأسـماله بالحيـاة كـما كان يبلغنـا بذلـك دائمًـا ويدعمـه في كل مناسـبة بتكـراره وإثباتـه لذلـك بالكلـمات والأفعـال.

كنـا ثلاثـة إخـوة بالترتيـب «سـلمى، ومحمـود، وعمـر» وكنـت أنـا الأخ

الأصغر المدلل من الجميع، وذلك لفارق السن بيني وبين إخوتي؛ فأنا من كان يقال عليه دائمًا حينما يتعجب أحدهم حين يراني ويرى الفارق الملحوظ في السن بيني وبين إخوتي تلك الجملة التي ترددت على مسامعي كثيرًا دون أن أعي معناها وقتها «عمر ده جه غلطة».

وكانت تلك الجملة هي الشرارة الأولى لبداية انطلاق حلمي وكأني أردت ألا يقال عليَّ بأنني غلطة، أردت أن أكون الهدية التي يفتخرون بها ويحمدون الله أني جئت للدنيا ولو على سبيل الغلطة.. أردت أن أصبح غلطة محمودة.

مرَّ قطار العمر سريعًا، وها أنا الآن في الثالثة والأربعين من عمري، وحققت الكثير من الإنجازات وأصبحتُ أمتلك شركتين للعقارات تقومان بالبناء في المدن الجديدة ويعمل معي أخواي الاثنين اللذان سبقاني في تحقيق هدف لم أحققه بعد.. تزوَّجا وأنجب كُلٌّ منهما طفلين وكل منهما صمم أن يسمى أحد أبنائه «عمر» وكأنهما فقدا الأمل في أن يكون لي خليفة فأرادا تحقيق ذلك بيدهم.

كَوني الأصغر كنت أعشق أن أجلس بجانب أبي ولكن في الفترة الأخيرة، كنت لا أستطع أن أمكث بجواره كثيرًا؛ لأنه يتألم ويحاول إخفاء ذلك عني بابتسامته الرائعة، وأنا لا أستطع تحمُّل ذلك؛ فهو مريضٌ بالمرض اللعين الذي توفت بسببه أمي منذ أكثر من عشرين عامًا، ولعلَّ ذلك من الأسباب التي تجعلني أخاف من الارتباط؛ لأني أشعر أنني سأموت قريبًا بنفس المرض ولا أريد أن ييتم أولادي في سن صغير.

تدهورت حالته مما جعلني أنقله إلى المركز الطبي العالمي لمحاولة تخفيف الألم قدر المستطاع وفي يوم من الأيام أبلغني الطبيب أن والدي سيخرج غدًا صباحًا لتحسن حالته، وذهبت لشراء الفل الذي يعشقه لأنه دائمًا يقول لي أنه يذكرني بأمك؛ نقيًّا ويأخذ العقل مثل عينيها.. ملأت البيت بالفل وذهبت في الصباح لأنقله إلى بيتنا، وقبل أن أدخل غرفته وجدت الطبيب ذاته يخبرني أن والدك توفاه الله منذ قليل.. أخبرني بذلك بكل جحودٍ ولم يكن يدري أنه أسدل الستائر السوداء على فصول الفرح في عمري.. جلست مكاني على الأرض منهزمًا.. يا إلهي لا أستطيع النهوض أو السيطرة على دموعي.. كيف سأكمل حياتي بدون نصائحه ووجوده بجانبي الذي يطمئنني.. يا الله كسر ظهري وتجسدت المخاوف على هيئة وحوش كاسرة ستلتهمني.. أرتجف خوفًا وطمعًا أن يكون كابوسًا.. جاءت الممرضة لتخبرني أنه لا بُدَّ أن أتمم الإجراءات وأبحث عمَّن يغسله وباقي ترتيبات الدفن والكفن.. تهمهم أمامي بكل الخطوات وعقلي لم يعد يتقبل كل هذا فصِحتُ بوجهها: «سأتمم كل شيء سريعًا أرجوكِ اصمتي الآن»، وأخذت هاتفي لأسأل عن كيفية إنهاء كل ذلك فإذا بي أتصل به «أبي» معلمي ومُرشدي فردَّت إحداهما برسالة صوتية باردة أنه غير متاح الآن وانتبهت وفهمت باقي رسالتها أن والدك لم يعد متاحًا لا الآن ولا لاحقًا، أرشِد نفسك بنفسك وأقم ظهرك بلا سند وانتبه فلم تعد صغيرًا لكي تبكي بتلك الطريقة البلهاء.. حاولت النهوض والوقوف على قدمي واتصلت بأخي الأكبر الذي مرَّ بما مررت به إن لم يكن أكثر ولم أقوى على الاتصال بأختي لأخبرها ووكلت أخي بتلك المهمة العصيبة.

دخلت غرفته لأنظر إليه النظرة الأخيرة.. كم كان جميلاً مبتسمًا يشع النور من وجهه وبجانبه دفترٌ كان يمسكه دائمًا ليدوِّن به ملاحظاته خلال اليوم؛ فهو كان لا يحب كل وسائل التواصل الاجتماعي ومتعته التدوين.. قبَّلت جبينه وبينما أنتظر أخي أخذت دفتره لأفتحه على موضع القلم لأقرأ آخر ما كتب وصعقت حين قرأت كلماته..

أحبك يا عمر وراضٍ عنك تمام الرضا لا تزعج يا طفلي المدلل، كُلُّ شيء سيبكون على ما يرام.. الكفن في دولابي بغرفة نومي ومعه رقم المغسِّل، ورقم هاتف القائم بحراسة المقابر ليقوم بفتحها.. عليك تقبُّل الموقف يا صغيري، وأنتظرك هناك أنا وأمك بعد عمر مليء بالسعادة والإنجازات.. قُم فورًا الآن فلم يعد لديك متسعٌ من الوقت..

آآآه يا أبي كيف أثلجت صدري وقدَّمت لي الدليل والمشورة لأقضي أصعب مهمة كُلِّفت بها.. قمت على الفور بالذهاب واتباع التعليمات، وما إن دخلت البيت لآخذ الكفن إلا وانهرت في البكاء عندما تخيلت البيت سيصبح بدون روحه الطاهرة ورائحة الفل التي كانت تنتظره سيذهب عبقها هباء.. دخلت غرفته والخطوات ثقيله جدًّا، وأنهيت المهمة وأخذت بعض الفل معي لأضعه بماء الغسل ليستشعر رائحته.

بالمدافن قضى الأمر.. بات الأمر يقينًا واضحًا.. أبي تحت الثرى.. ستصبح وحيدًا الآن يا عمر، لا بُدَّ من البحث بهمة الآن على شريكة باقي العمر.

أدركت الآن مدى ثقل أول ليلة فراق للحبيبين.. فأنا لم أشعر بها من قبل لأن قلبي لم يدق يومًا ولم أكن أتعاطف مع أيٍّ من أصدقائي

حين يبلغني أنه انفصل عن حبيبته ومدى الألم الذي يشعر به في الليالي الأولى من الفراق بل كنت في الكثير من الأوقات أسخر من وصفهم حينما يصفون حياتهم بعيدة عن أحبائهم أنها أصبحت بلا طعم ولا ألوان.. لم تعد الآن الحياة بالنسبة لي حياة.. الدقائق تمر ثقيله جدًّا وكأن الوقت يأبى أن يقبل المرور سريعًا دون أبي والسويعات تمر من خلال نافذة قلبي بخناجر تمزق شرايين الحب والأمان.. ارحمني يا الله وهوِّن عليَّ مثلما هوَّنت عليَّ فراق أمي منذ زمن بعيد.

بدأت أختي رحلة البحث عن عروسٍ تناسبني وبدأت الدخول رغمًا عني في دائرة معارف جدد لعلي أجد مرادي من المواصفات التي أبحث عنها.. وأخيرًا وجدتها بأحد المؤتمرات العقارية بدبي.. صاحبة شركة عقارات ومثقفة وجميلة وذكاؤها وجاذبيتها يجعلانك لا تريد أن تنتهي محادثتكم أبدًا.

تقدمت إليها وتزوجنا سريعًا وعشنا سنة مليئة بالمشاكل التي انتهت بالانفصال بدون أطفال بفضل الله على كل منا.

بعد الانفصال بعامٍ مرضت كثيرًا ولا أحد يدري ما السبب في كل ما أعاني به إلى أن أتاني الهاجس الذي كان يطاردني دائمًا.. أخذت من أبويك طيبة القلب والمرض يا عمر.. ذهبت لطبيب لأورام وبعد الفحوصات أصبح الهاجس حقيقة مجسدة في هيئة شخص لعين يعيش معي، اسمه السرطان.. حاولت تقبُّل الأمر ومصادقته ولكنه تملَّك مني كثيرًا وأشعر أن النهاية اقتربت وما يخفف عني أني سأقابل أحبائي قريبًا.

بينما أقف بالنافذة أتذكر ما مضى وجدتها بالنافذة الأخرى تبتسم وتسلم عليَّ ابنة الجيران...رفيقة الصبا.. وطلبت مني رقم هاتفي واتصلت بي، وعلمت أنها تنتظر الموت مثلي بنفس المرض وكأن القدر يجمعنا الآن لنتشارك الموت وليس الحياة.

ارتبطت روحانا ببعضهما كثيرًا وأحببتها حُبًّا صادقًا بما تبقى لي من قلبي وتزوجتها بعد شهرين من التواصل لشدة تعلُّقي بها وكنا نهون على بعضنا الطرق لأخذ الجلسات ونشد أزر بعضنا البعض بالصلوات معًا والضحكات التي لم تنتهِ بيننا.

وكأن الله أراد أن يعطيها فرشاة الألوان التي تلون بها حياتي مرة أخرى وسعادتي اكتملت حين تيقنت من شفائها من ذلك المرض اللعين وها أنا الآن أخطو خطوات ثابتة نحو الاستشفاء بفضل الله وكرمه.

حقًّا.. من المِحَن تأتي المِنَح.. وجودها بجانبي أعطاني الثقة في الاستشفاء وجعلني أتشبث بالحياة مرة أخرى وجعلني أتقرب من الله بفعل الخيرات ومحاولة مساعدة الجميع وتوسعت بأعمالي بفضل تدعيمها وشعرت وتمنيت أن يطول العمر لأبقى بجانبها ولأنعم بتلك السعادة.

وكل أسبوع أذهب أنا وهي وإخوتي لبيتنا القديم نستعيد الذكريات ونزينه بالفُلّ ونذهب للمقابر نسلم على أصحاب الفضل وننصرف كُلٌّ مِنَّا إلى بيته وبداخله شجن يسري بين أضلعه لن تمحيه الأيام.

الشباك التاسع

ع ع ع ع ع ع ع

ع ع ع ع ع ع ع ع ع ع ع

ع ع ع ع ع ع ع ع ع ع ع ع

ع ع ع ع ع ع ع ع ع

ع ع ع ع ع ع ع ع ع ع ع ع

ع ع ع ع ع ع ع ع ع ع ع ع ع ع

شروق كمال

مسبحة الشيخ بهي الدين

بقلم .. شروق كمال

فتح النافذة ليجدد الهواء داخل منزله الصغير، المنزل الذي يتسع رغم صغره لكل مشكلات سكان الحي، ويستوعب اجتماعات الأبناء وركض الأحفاد، وهذه النافذة هي صلة زوجته بالعالم، بعد أن أقعدها المرض وكبر السن.

– السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. إنتي فين يا حاجَّة؟؟

طوال عشرين عامًا من الزمن الجميل -كما يحلو للشيخ بهي الدين أن يلقبه كلما تحدث عن درسه في جامع الحي الذي يقطنه- حرص الشيخ على أن تكون له نفس الإطلالة المسائية على زوجته بعد عودته من صلاة العشاء وحديث العشاء الذي يلقيه يوميًّا، والذي تحول للقاء عائلي بينه وبين زوار المسجد الذين ألفوا الشيخ وألفوا قفشاته وطيب كلماته..

جاء رد زوجته الحاجة عليه من داخل المطبخ: «وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.. أنا هنا يا حاج.. الشاي جاهز.»

– فين البسكويت يا حاجة، ده إنتي بتاخدي درس خصوصي في البيت، أقلها يعني بسكويت مع الشاي. أطلق الشيخ ضحكته المجلجلة فاستضاء وجه الحاجة علية بضحكتها فخبأتها بطرف غطاء رأسها.. «يوه يا حاج، ده إنت بتكسب فيَّ ثواب، يا ريت أقدر أنزل أصلي وأسمع درسك زي زمان، يلا، الحمد لله.»

اعتاد الشيخ بهي أن يعيد درسه بحذافيره لزوجته الحبيبة مضيفًا إليه تعليقات الحضور والوصف التفصيلي لوجوه الصف الأول، منتهى مدى رؤيته.

– النهاردة يا ستي اتكلمنا عن الإخلاص والإحسان و- أشاحت الحاجة علية بوجهها وأطلقت زفرة مسحت ملامح الطمأنينة من وجه الشيخ الذي بادرها قائلًا: «خير يا حاجة؟؟»

رفعت إلى وجهه الحائر عينين غارقتين في الدموع: «يا حاج إنت كل اللي بيحضرولك شباب والجيل ده مايعرفش الإحسان، لا بيذاكروا بإحسان ولا بيتعاملوا بإحسان، دول حتى مابياكلوش بإحسان!!» اعتدل الحاج بهي في جلسته وقطب جبينه: «لا يا علية، الولاد دول فيهم خير، شوفي التعميم مرفوض تمامًا.» قرر الحاج بهي أن يقف في وجه أمواج السلبية المتلاطمة التي أرسلتها الحاجة علية.. «إحنا أمة بتجدد نفسها وكل زمن فيه الكويس وفيه الوحش، لا ده كل واحد فينا فيه الكويس وفيه الوحش، المسلم يا علية زي الفضة، يمكن يبقى عليه طبقة

أكسدة رمادية وكئيبة بس لما يلمع قلبه بالقرب من ربنا.. ياااه.. يرجع يلمع ويبرق.» تسحبت مسبحة الشيخ من يده وانطلقت هاربة أسفل الكرسي. انتفضت الحاجة علية: «يووه.. سبحتك يا حاج!» كانت تدرك غلاوة مسبحة الحاج بهي، فهي لا تفارقه منذ عودته من رحلة الحج منذ أكثر من خمسة عشر عامًا والغريب أن رائحة المسك فيها لا تخبو أبدًا حتى يخال إليك أنها تتعطر من يده.

معًا يدًا بيد أزاحا الكرسي ليصلا إلى المسبحة.. شهقت الحاجة علية وهالها ما رأت من التراب المتراكم أسفل الكرسي، نظر إليها الشيخ بحنان وربت على كتفها: «معلش يا حاجة.. كلنا محتاجين ننضف أركان نفوسنا، محتاجين نزق الكنب اللي في قلوبنا ونشوف تحته إيه.

الشباك العاشر

ع ع ع ع ع ع ع ع ع

ع ع ع ع ع ع ع ع ع

ع ع ع ع ع ع ع ع ع

ع ع ع ع ع ع ع ع ع

ع ع ع ع ع ع ع ع ع

ع ع ع ع ع ع ع ع ع

ع ع ع ع ع ع ع ع ع

ع ع ع ع ع ع ع ع ع

ع ع ع ع ع ع ع ع ع

ع ع ع ع ع ع ع ع ع

شروق كمال

الحلم والكنز

بقلم.. دانة الخياط

تسللت أشعة الفجر وغافلت ستائر النافذة، وألقت بنورها على وجهها الهادئ، وقسماتها الرائقة. كعادتها، استيقظت مع هبوب النسيم المعطر بأنفاس الفجر الأولى، كان صباحها جميلًا مميزًا، فتحت عينيها وتنفست بعمق، ابتسمت وتثاءبت بدلال متغنية بعذوبة النوم والراحة. نظرت إلى «خالد» النائم بقربها، وحمدت الله، فهي دائمًا ما تشعر بالامتنان لوجود هذا الرجل الطيب في حياتها، ووقفاته المفعمة بروح الرجولة والشهامة والإحساس بالمسؤولية تجاهها، فضلًا عن حبه العميق ومشاعره الجياشة التي يعجز عن إخفائها، وماذا تريد المرأة أكثر من ذلك؟ فلتشكر الله وتحافظ على منته.

طبعت قبلة حنونه على جبين خالد وقفزت من سريرها بفرح طفولي لإعداد قهوتها الصباحية، غنت فيروز:

ليالي الشمال الحزينة

ضلي اذكريني اذكريني

يسأل عليَّ حبيبي

ليالي الشمال الحزينة

يا حبيبي أنا عصفورة الساحات

أهلي نتروني للشمس وللطرقات

يا حبيبي

لسفر الطرقات

لصوتك يندە لي مع المسافات

ويطل يحاكيني بالريح الحزينة

ليالي الشمال الحزينة

يا حبيبي وبحبك ع طريق غياب

بمدى لبيتي يخبينا ولا باب

خوفي لا الباب يتسكر شي مرة بين الأحباب

وتطل تناديني ليالي الشمال الحزينة

عادت بها الذكرى إلى سنتين فائتتين، وتحديدًا ذلك الصباح، عندما استيقظت معكرة المزاج، قنبلة موقوتة تنتظر من يدوس عليها لتنفجر، كانت تعاني ألمًا حادًّا في رأسها، وكلمات والدتها تنقر برأسها نقرًا مزعجًا موجعًا، تلك الكلمات التي تلفظت بها والدتها عندما علمت بقرار ابنتها بعدم قبول عرض الزواج من ياسر الذي تقدم لخطبتها، فانهالت عليها العبارات القاسية:

«أتنتظرين فارسًا على حصان أبيض؟

العمر يمضي..

المرأة خلقت لتتزوج وتُنجب الأطفال..

ألا تخشين وحشة العمر! أتريدين أن تقضي خريف عمرك وحيدة بدون أنيس أو ونيس؟»

يومها لم تفلح فيروز عندما غنت «ليالي الشمال الحزينة»، ولم يفلح فنجان القهوة التركي المحلى، ولا حتى الصباح الباكر المنعش، في إزالة ما كانت تعانيه من ضيق وقلق وخوف. كانت تعلم جيدًا أنها واقعية ولا تعيش في الأحلام، لكنها كانت تنتظر أمرًا ما، لا تعلم ماهيته. وإلى متى ستنتظر؟ لم تكن تعلم أيضًا. كل ما كانت تعرفه أنها كانت تنتظر لحظة معينة، مجهولة المعالم، غير محددة التوقيت.. لكنها ولقوة شخصيتها وأملها في الحياة، نفضت عنها كل تلك الأفكار، وأزاحت طيف ذاك القلق المحير، وأصرت على رفضها للخطبة، وأحجمت كذلك عن الحوار في هذا الشأن.

ومضت بها الأيام، وتتالت الأشهر، وهي تسعى جاهدة لتحقيق حلمها بأن تصبح كاتبة، فتقضي سحابة أيامها في القراءة والكتابة والتأليف، كان حدسها الذي لا يخيب أبدًا يقول لها بأن تحقيق حلمها سيصاحبه حصولها على كنزها. لم تكن تعلم أي كنز هذا، ومع ذلك آمنت بحدسها.

وحانت ساعة تحقيق الحلم، وبدأت مراسم حفل توقيع كتابها الأول، كانت فرِحة ومن فرط فرحتها يكاد قلبها أن يتوقف عن النبض،

وتقاطر العديد من الأهل والأصدقاء المخلصين، وعدد لا بأس به من قرائها الأوفياء المتابعين لأخبارها ومقالاتها في الصحف والمجلات. ووسط ذلك الجمع كانت هناك بعيدًا عينان ترقبان، التقتا بعينيها السوداوين الواسعتين، في لحظة توقف فيها الزمن فجأة، عندها ابتسمت فقد صدق حدسها، وأتت اللحظة المنتظرة، وشعرت بأنها تنظر إلى الرجل الوحيد في حياتها، وبدون حاجة للكلمات أدرك هو نفس الشيء. لقد كانت على ثقة تامة لحظتها أن هذا الرجل هو الذي كانت تنتظره وتبحث عنه لتحط رحالها في قلبه الكبير، وكان هو أيضًا على يقين بأنها هي المرأة المجنونة بمشاعرها، المعجونة بأنوثتها، ذات الشعر الأسود الطويل التي طالما طغت على تفكيره، وغزت أحلامه.

وتقدم لخطبتها حسب الأصول والأعراف - فكلاهما كان يرفض المبدأ القائم على أن المرء يجب أن يحب ويتعرف قبل أن يخطب - ولم ينقبض قلبها، ولم يضيق صدرها كما كان يحدث في المرات السابقة.. وأدركت أن الكنز المتلازم مع الحلم هو خالد، وأدركت أيضًا أن هناك لغة لا تقوم على الكلمات، لغة تفهمها القلوب، اسمها «لغة الحب».

الشباك الحادي عشر

ععع ععععع ععععععع

ععع ععععععع

عع ععععع عععععع

ععع ععععععع

عععع ععععع عع عععع

ععع عععع ععععع عععع

عععع ععععع ععععع عععععع

ععععععع عععععع عععععععع عععععع

عععععع عع عععع ععع ععع

عععع ععععع

عع ععععععع ععع ععععع

عععععع عععع

عععع ععععع عععع عععع

شروق كمال

ميراث القهر

بقلم.. منى لبيب

مـررت مـن أسـفل نافـذة غرفـة الفتيـات المقيـمات بتلـك الـدار بأحـد الأريـاف لأتحقـق مـن فعـل الزمـن بهـن، فهـن أربـع فتيـات مـن أم وفتاتـان مـن أم أخـرى يعشـن بنفـس الـدار يشـتركن في نفـس الأب، وقـد تذوقـن مـن مـرارة قهـر الرجـال. سـنفتح الآن النافـذة عليهـن ونحـكي قصصهـن لعلهـا تكـون عـبرة لمـن يظـن أن ليـس للظـالم نهايـة.

في السـبعينيات قـرر «عابـد»، الرجـل الـذي نشـأ في الريـف متمـردًا بـكل الطـرق عـلى وصفـه بأنـه رجـل ريفـي؛ أن يبحـث في البنـدر عـن فتـاة يتزوجهـا، إلى أن وجـد عـن طريـق الصدفـة مـن سـتجعله ينتمـي للبنـدر لهيئتهـا القاهريـة وجمالهـا وأسـلوبها المهـذب، فقـد جـاءت لزيـارة بنـي سـويف في حملـة تابعـة لـوزارة الصحـة التـي تعمـل بهـا كطبيبـة والتـى لم تسـتطع الاعتـذار عنهـا.

كانت «ليلى» ملفتة حقًّا، فلون بشرتها البرونزي واللبس القصير المنتشر في تلك الحقبة الزمنية وجمال عينيها العسليتين وشعرها الأسود المفرود يجعلها فاتنة خاصة لعابد الذي يحلم أن يتخلص من الريف بأي طريقة.

لم يتردد عابد لحظة بسؤال مدير الحملة عنها ووجد إجابة شافية عنده لكل أسئلته مفادها: «إنك لن تجد مثلها لتكون أمًّا لأولادك، ولا تتردد إن كنت تنوي الفوز بها لأنها لن تكون متاحة لوقت طويل لكثرة من يرغبون بها.»

على الفور ذهب عابد لأبيه العمدة ليخبره أنه يريد أن يتزوجها، ولم يتردد أبوه في الموافقة؛ وذلك لأن ولده كان رافضًا لفكرة الزواج بإحدى فتيات البلد شكلًا وموضوعًا.. وأخذ عنوانها وذهب لأهلها في صباح اليوم الثاني على الفور، ولم يتردد أهلها في الموافقة؛ وذلك لأنه لا يوجد ما يعيبه، ولعرضه مهرًا يغطي كل التكاليف دون أن يدفعوا شيئًا، وكذلك لعرضه استئجار شقة بجوار أهلها بالإضافة لكتابة دار صغيرة بالأرياف باسم ابنتهم كأمان لها، ولأنه لم يترك لهم فرصة وفيرة للسؤال عنه ولا لتعارفهم سويًّا لأنه أراد أن يتمم الزواج بخمسة عشر يومًا فقط!

تزوج ابن العمدة الريفي من «ليلى» القاهرية التي بدأت تعلمه كيف يأكل بالشوكة والسكين وكيف يتعامل ويتكلم ويتخلص من لهجته الريفية التي كانت تزعجه كثيرًا. مر عام في الجنة التي طالما حلم أن يعيش بها عابد وأنجبت له ليلى أولى فتياتهما «رقية»، وفي

نهاية العام الثاني ابنتهما الثانية «علياء»، وفي نهاية السنه الثالثة «فاطمة». وبدأت المشاكل التي لم تنتهِ مع والده الذي رُزق بتسع فتيات ولا يملك سوى عابد الذي سيحقق حلمه في إيجاد الخليفة الذي يجعل نسل العمدة مستمرًّا عبر الأجيال.

ولعلم والده بعقدته من الفتيات المقيمات بالأرياف عرض عليه الزواج من إحدى قريبات بنات عمه التي جاءت لزيارتهم من القاهرة والتي تحظى بجمال خاص جدًّا، ولم يتردد عابد حين رأى جمالها ولمحاولة إرضاء أبيه تزوجها. واشترطت عليه شقة بالقاهرة، فأمره أبوه أن يأتي بأم البنات هنا بالدار التي كُتبت باسمها خاصة وأنها استقالت ولا يوجد لديها أي ارتباطات بعد وفاة أبيها وأمها. ذهب عابد ليرغمها على ترك البيت للعروس الجديد، فلم تستطع الوقوف أمامه لقلة حيلتها ولخوفها من أن يأخذ الدار إن رفضت وخاصة وأنها الآن حامل للمرة الرابعة ولن تجد ما يأويها وبناتها وهي بلا دخل ينقذهن من غدر الزمان، وعلى الأقل ستصبح وسط أهل زوجها الذين لن يتركوا بالطبع لحمهم وعرضهم دون أن يسألوا عليهن.

تزوج عابد بالزوجة الجديدة التي فتنها بالتعامل الراقي والأسلوب وطريقة الحوار والتحدث اللبق، ولكنه نسي أن يخبرها مَن علَّمه كل ذلك!

ووضعت ليلى طفلتها الرابعة «نور»، وكأنها سميت بذلك الاسم لتنير ظلمة القهر الذي رأته من أبيها، وعلى اسم حماتها الحنون، فقد كانت أم عابد سيدة فاضلة تلتزم بمبلغ شهري يعف زوجة ابنها

وبناتـه وكانـت تحـرص عـلى زيارتهـن كل شـهر لتراهـن وتطمـئن عـلى أحوالهـن.

استسـلمت ليـلى لحكـم القـدر وعاشـت بالأريـاف وأدخلـت بناتهـا في مـدارس هنـاك.. وفكـرت أن تعمـل بمجـال الطـب مـرة أخـرى عـن طريـق فتحهـا لعيـادة بنفـس الـدار الـذي تقطـن بـه، ولم يكـن لديهـا مـن المـال لجلـب المعـدات البسـيطة التـي تسـاعدها عـلى فـرش العيـادة سـوى قطـع ذهبيـة بسـيطة تمتلكهـا هـى وبناتهـا، قامـت ببيعهـا كمحاولـة منهـا لتوفـير ولـو جـزء بسـيط دائـم يسـاعدها عـلى العيـش دون اللجـوء لأي مسـاعدات أو إهانـات تتعـرض لهـا.

تـزوج عابـد ومـرت ثـلاث سـنوات أخـرى أنجـب فيها بنتـين، وبـدأ والده يفتـح الموضـوع ذاتـه ولكـن هـذه المـرة أقنعـه أن القاهريـات لـن يجلـبن لـك الولـد الـذي تنتظـره، وقـال لـه: «تـزوج ابنـة عمـك ذات الخمسـة عـشر عامًـا فأمهـا أنجبـت العديـد مـن البنـين.» استسـلم عابـد لرغبـة والـده، ولكـن لأن كل أعمالـه وأشـغاله بالقاهـرة فقـال لـه أبـوه: «أرسـل زوجتـك الثانيـة إلى هنـا، وأبنـي لهـا شـقة إضافيـة بـدار زوجتـك الأولى والبنـات أولى بعضهـن ببعـض، ولـكى يسـهل علينـا الاطمئنـان عليهـن.» نفـذ عابـد بالفعـل ذلـك المخطـط القهـري لكليهـما ولكنهـما لا تملـكان رفاهيـة الاعـتراض، ولـو أن ليـلى أوفـر حظًـا مـن الثانيـة لكونهـا طبيبـة اسـتطاعت العمـل، ولأن الـدار مكتوبـة باسـمها فقـد قامـت بعمـل عقـد إيجـار لزوجتـه الثانيـة وفي نيتهـا أنهـا لـن تغـدر بهـا مثلـما فعـل هـؤلاء الظلمـة.

تـزوج عابـد بزوجتـه الثالثـة «هانـم» والتـي كانـت تسـمع كلامـه دون

نقاش وتخدمه برموش عينيها ولا تسأله أين يذهب، مما جعله يجري وراء شهواته ونزواته لأنه لا يوجد بالبيت من يتحدث معها ويشاركها اهتماماته، فهو الآن ليس رجلًا ريفيًّا كي يتقبل تلك على أنها زوجته. مرت خمس سنوات ولم يرزق منها بأي أولاد.. وسئم منها ومن نزواته أيضًا وقرر أن يتزوج سكرتيرته في السر رغم أنها لا تناسب أخلاقيات الريف الذي تربى عليها مطلقًا.. فهي تشرب الخمر والسجائر ومتحررة ولا تقبل أي قيود من أي أحد ولا حتى أهلها الذين من الممكن ألا يعلموا أين هي بالأسابيع.

تزوجها بنفس المنطقة التي تسكن بها زوجته الثالثة وبشرط منها ألا يتدخل بحياتها، «فنحن متزوجان زواجًا عرفيًّا في السر وكل منا يستطيع أن يفعل كل ما يحلو له دون قيود.» لم يتردد في الموافقة لكي يهرب من روتين حياته مع هانم وليسكت صوت ضميره الذي انتهكته نزواته ظنًّا منه أن ما يفعله الآن أحسن حالًا من وضعه السابق.

تزوج «شاهيناز» وترك هانم تمامًا تعيش بمفردها بالشهور بحجة أنه يسافر ومشغول بالأعمال والمشاريع التي يعمل بها.

هناك في بني سويف توجد ست فتيات ينتظرن أي لحظة عطف أو اهتمام من أبيهن الذي لم يفكر يومًا أن يسأل عليهن بأي وسيلة من الوسائل، حتى وإن زار والديه لم يكلف نفسه أن يمر على الدار التي تقطن فيها فتياته. وكانت الثلاث زوجات يصبرن أنفسهن بالدعاء عليه وبمراقبته من بعيد ليروا ما يشفي غليلهن مما يجري له.

وهنا في القاهره تعلق عابد تعلقًا مرضيًّا بشاهيناز وبدأت الغيرة

تـدق بابـه ولا يـرضى عـن طريقتهـا في الحيـاة والتعامـل مـع الجنـس الآخـر والـشرب ومـا شـابه مـن سـلوكيات لا يريدهـا الآن ولم تعـد تنـال إحسـانه، خاصـة وهـي الآن حامـل وهـو يريـد إعـلان زواجـه منهـا ليضمـن وجودهـا بجانبـه دائمًـا فهـو لم يعـد يحتمـل حتـى يومًـا واحـدًا يذهـب فيـه لهانـم ويتركهـا. وحدثـت المفاجـأة: أن هانـم حملـت وأنجبـت ولـدًا، ولكنـه مـن ذوي الاحتياجـات الخاصـة، وللأسـف لم يسـتطع عابـد تقبـل ذلـك تمامًـا وأرسـلها لأبيـه لتسـكن معهـم؛ فهـي ابنـة أخيـه اليتيمـة وأنجبـت لـه الولـد الـذي يريـده، وكأن عابـد أراد أن يذيـق أبـاه مـرارة مـا فعلـه بـه بـأن يتحمـل مسـؤولية هـذا الطفـل بمفـرده.

عندمـا علمـت شـاهيناز أنـه لا يطيـق البعـد عنهـا وأنهـا الآن الوحيـدة بالقاهـرة طلبـت منـه أن يكتـب لهـا جـزءًا مـن الشركـة ويشـتري لهـا سـكنًا خاصًّـا بهـا وإلا امتنعـت عنـه وأجهضـت ابنـه منهـا، فوافـق وكأنـه مخمـور فـلا يوجـد إنسـان عاقـل يوافـق عـلى تلـك الطلبـات مـن سـيدة مسـتهترة ومتحـررة زيـادة عـن الـلازم. انتقلـت معـه لبيتـه بعـد الموافقـة عـلى طلباتهـا وإشـهار زواجهـما، وبـدأت المشـاكل التـي لم تنتـهِ لاختـلاف وجهـات النظـر في كل موقـف ولتصميمهـا عـلى شرب الخمـر والسـهر والحفـلات ولا تلقـي بـالًا لبيتهـا وزوجهـا ولا حتـى جنينهـا والأضرار التـي قـد تلحـق بـه.

وذات يـوم ذهـب عابـد للعمـل ونـسي هاتفـه المحمـول وقـرر أن يعـود للبيـت ليـس لجلـب هاتفـه فقـط، فبعـد سـويعات مـن ذهابـه للعمـل شـعر بالإعيـاء فلـذا قـرر الذهـاب للمنـزل ليسـتريح بجانـب حبيبتـه وزوجتـه المتعبـة أيضًـا مـن أعـراض الحمـل وبإجـازة مرضيـة طويلـة مـن

العمل. دخل عابد البيت ليجد أبشع ما يمكن رؤيته، زوجته مع أحد أقاربها عاريين تمامًا على فراشه.. ولم يدرِ بنفسه إلا والسكين قد غُرس بين ضلوعها وماتت على الفور في اللحظة التي هرب فيها ذلك الندل الذي كان يقاسمها نفس الفراش خلسة وبوضاعة منقطعة النظير.

الآن نحن في التسعينيات وفتحنا النافذة لنرى ليلى التي قد اعتادت النجاحات رغم الإحباطات التي تواجهها دومًا لكونها بمفردها في بلد غريب وتحتضن بناتها بمفردها في سن صغير وبإمكانات ضعيفة لا تسعفها، ولكنها اتخذت قرارًا ألا تنفق أي ربح خلال السنة الأولى إلا لشراء معدات جديدة إلى أن أصبحت العيادة الصغيرة في الدار لا تتحمل عدد المرضى.. إلى أن ساعدتها حماتها بالأرض التي تمتلكها والملاصقه للدار التي طلبت منها أن تبنيها مستشفى تخدم الفقراء ليكون الأجر رمزيًا ليديم استمرارية المكان، ووعدتها ليلى بذلك وقررت أن تنفذه على الفور عن طريق بناء دور واحد تبدأ به لحين الانتهاء من كامل المستشفى. وأصبحت الابنة الكبرى عروسًا طبيبة مثل أمها وجميلة وتقدم ليها أحد زملائها في المستشفى ووافقت الأم عليه وأتممت الزواج عن طريق خالها؛ لأن الأب الآن رُفع عنه القلم ومحجوز بإحدى المصحات النفسية وليس لديه إخوة من البنين، ومات الجد أيضًا.

كل منا يختار طريقه وحتمًا المستسلمون لأقدارهم هم الخاسرون، لا بد أن نرى النور في عز ظلمة المحن حتى نبدأ من جديد لنصل لأبعد من أحلامنا.

ظلما الكثير، هو وأبوه، وها هو عابد اختل توازنه النفسي وفقد

عقلـه بعـد قتلـه آخـر زوجاتـه وبعدهـا مـات أبـوه وأمـه مـن الحـسرة عليـه.. والفائـزات هـن مـن لم يـرددن الإسـاءة بمثلهـا واستسـلمن لإرادة القـدر.

قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

آل عمران/ آية 26

الشباك الثاني عشر

ع ع ع ع ع ع ع ع ع

ع ع ع ع ع ع ع ع ع ع ع

ع ع ع ع ع ع ع ع ع

ع ع ع ع ع ع ع ع ع ع ع

ع ع ع ع ع ع ع ع ع

ع ع ع ع ع ع ع ع ع

ع ع ع ع ع ع ع ع ع ع ع

ع ع ع ع ع ع ع ع ع ع ع

ع ع ع ع ع ع ع ع ع

ع ع ع ع ع ع ع ع ع ع ع

شروق كمال

القمر الدامي

بقلم إسلام سعيد

كانت ليلة ظهور القمر الدامي، وها هو يرمي ظلالًا حمراء داكنة على كل نوافذ المدينة، يتوغل بتأثيره السحري، كأنما يلقي تعويذة تدفع بعض البشر لشيء من الجنون حيث أصبح الجنون والدم هما السمة المميزة للمدينة الآن، قالها «نجيب» في خاطره وهو يحدق من نافذة أحد البيوت المهجورة قبل أن يسير عائدًا وهو يتحسس طريقه للمنزل تحت ضوء القمر بعد أن ساد الظلام والفوضى في شوارع المدينة وأصبح ذلك شيئًا مألوفًا في مدينة كانت تجارية وآمنة كمدينتهم، وذلك بعد قيام حرب عالمية طاحنة على الحدود الشرقية نتج عنها الكثير من التوتر وقلة الغذاء والغلاء وانهار الاقتصاد فحل الجوع، وقام الفقراء والمهمشون بثورة دموية أطلق عليها الإعلام وقتئذ «ثورة الحقد» ثم «ثورة الجياع» وقالوا إن جُل منظميها من الكسالى والعاطلين، ولكن حدة الثورة أدت إلى سقوط الدولة فسادَ قانون الغاب بين الناس.

وصل نجيب إلى المنزل وقام بالطرق على باب الشقة ثلاث طرقات متباعدة لها صوت تميزه الأذن وقامت والدته بحَثِّ أخته علياء على فتح الباب ولكن علياء همست لها: «انتظري يا أمي يجب أن يقول أولًا كلمة السر.»

وسمع «نجيب» صوت أخته وهي تسأله: «ما هي كلمة السر؟»

فتذكر اتفاقهم أن تكون أغنية عايدة الأيوبي «عصفور» كلمة السر لهذا اليوم، وقد كان، وقامت علياء بفتح الأقفال الكثيرة من على الباب المصفح الذي قام «نجيب» بشرائه مقابل بعض الأشياء وذلك بعد تزايد الاقتحامات على البيوت المجاورة لهم والتي نتج عنها الكثير من القتل والسرقة فأصبحت شقتهم منيعة إلى حد ما.

ودخل الشقة ليجد أخته وأمه جالستين على السفرة وضوء الشمعة القابعة في المنتصف تتمايل رقصًا في الظلام، وقام بسؤال أمه إذا كان هناك بعض الطعام المتبقي من أمس ليأكله فقالت له: «لقد نفذ منا الكيروسين يا نجيب وخشينا أن ننزل للبدروم وحدنا فيرانا أحد ويكتشف مخزننا السري فيحدث ما لا يحمد عقباه»، وأدرك نجيب صواب كلام أمه حينما تخيل هذا السيناريو المتشائم، فالقتل أصبح شيئًا عاديًا في هذا الوقت من أجل أتفه الأشياء. وقام بإحضار مفاتيح البدروم، وتأكد من أنه يحمل معه السكينة في جيبه لكي يستخدمها عند الضرورة، ونزل بهدوء متجاوزًا شقة جاره في الدور الثاني، حسن، وهو لواء متقاعد يعيش وحيدًا بعد أن فقد عائلته في يوم الفوضى الدامي وأصبح شغله الشاغل هو قنص من يشك أنه يقترب من

المنـزل، حتـى إن «نجيـب» أصبـح لا يغـير مواعيـد دخولـه للمنـزل كي لا يعتقـد أنـه مـن الغربـاء ويقتلـه.

وعندمـا قـام بالنـزول لأسـفل السـلم لـكي يفتـح البـاب المـؤدي إلى البـدروم ودخـل الغرفـة التـي لا يفصـل بينهـا وبـين الشـارع سـوى حائـط، والتـي يقـوم مـن وقـت لآخـر بمراجعـة محتوياتهـا واقتصـاد الاسـتخدام عـلى قـدر المسـتطاع، وقـد قـام بإحضـار خمسـة أكيـاس أرز تكفـي ثلاثتهـم لشـهر كامـل وسـحب زجاجـة فارغـة لملئهـا بالكيروسـين، ونظـر للجركـن وهـو يوشـك عـلى النفـاذ، وحـين هـم بفتـح البـاب للخـروج وجـد أمامـه فوهـة بندقيـة موجهـة إلى وجهـه ليسـقط كيـس الأرز مـن يـده ليجـد اللـواء حسـن يقـول لـه: «إذًا هـذا هـو سرك الصغـير في البقـاء يـا نجيـب؟»

رد عليـه نجيـب في توتـر: «أنـا كنـت أريـد مشـاركتك في المخـزون لكـن حضرتـك تعلـم بمـرض أمـي وحاجتهـا هـي وأختـي لـكل وجبـة.»

حسن: «هل تعتقد أنهم سيعيشون طويلًا في هذا الزمن؟»

نظر إليه نجيب في تعجب: «ماذا تقصد؟»

حسن: «ماذا تفعل لأشخاص رأوا عائلتك تُقتل ولم يحركوا ساكنًا؟!»

نجيـب: «مـاذا تقصـد؟ نحـن غـير مسـؤولين عـما حـدث لعائلتـك، لقـد مـات الكثـير في هـذا اليـوم الدامـي الـذي سـقطت فيـه الدولـة وعمـت فيـه الفوضى.»

حسـن: «لِمَ العصبيـة؟ عامـةً لا أريـد سـماع مبرراتـك، لقـد قلـت لـك ذلـك لأنـه قـد يـأتي يـوم وتتبـدل الأدوار ولا تجـد مـن يحمـي منزلـك أو عائلتـك، وحينهـا لـن يشـفع لـك البـاب المصفـح مـن السرقـة أو حتـى القتـل.»

نجيب: «ماذا تريد الآن؟»

حسن: «المشاركة في هذا الطعام هنا في المخزن مقابل الحماية التي أقوم بتوفيرها لكم، فأنت تعلم أن أغلب سكان الشارع إما قُتلوا في الأحداث الأخيرة وإما غادروا لإحدى القرى الواعدة في الصحراء، وللحماية لقد قمت بتركيب نوع من الإنذار اليدوي الذي ينبهني إذا قام أحد بالدخول فأقوم برؤيته عن طريق منظاري الليلي الخاص بي فإذا كان غريبًا أقتله في الحال، ما رأيك؟»

نجيب: «لم تترك لي أي خيار آخر.. موافق، على الأقل سأجد من أتشارك معه هَمَّ نقص الوقود والغذاء.»

واتفقا على ذلك وقام نجيب بغلق الباب وصعدا الدرَج ودخل كل منهما شقته، وطرق نجيب الباب وقال كلمة السر وهو ما زال يفكر فيما حدث من لحظات.

وقرر ألا يقول لأمه وأخته وأعطاهما الكيروسين والأرز لتقوما بالطبخ، وأضاف قائلًا: «من الغد ستقومين بزيادة الكمية لكي تكفي لأربعة أشخاص.»

ليجد والدته تسأله: «من الشخص الرابع؟» قال لها: «جارنا اللواء حسن، يجب علينا أن نتعاون معًا فالرجل يجلس وحيدًا في شقته بعد وفاة عائلته وهو يحمي منزلنا الآن.»

ووجد والدته وأخته مندهشتين من كلامه ولكنهما لم تعارضاه أو تناقشاه.

جلس نجيب على السرير يفكر فيما حدث وكيف سيتعامل مع

هـذا الرجـل الانتهـازي ولم يشـعر بنفسـه إلا عـلى صـوت والدتـه وهـي تدعـوه للاسـتيقاظ فجـرًا بسـبب سـماعها صـوت انفجـار قـوي وإطـلاق نـيران في نفـس المنطقـة، وظـل الوضـع هكـذا لمـدة نصـف سـاعة حتـى هـدأت أصـوات الرصـاص ثـم توقفـت تمامًـا، وحينهـا قـرر نجيـب القيـام بالروتـين اليومـي الـذي يفعلـه بـأن يرتـدي ملابـس المشردين ويقـوم بالتنكر في هيئـة رجـل فقـير منحنـي الظهـر يرتـدي قلنسـوة تخفـي وجهـه ولا مانـع مـن وجـود بعـض القـذارة عـلى ملابسـه لإضافـة المصداقيـة عـلى مظهـره حيـث يخفـي تحـت ملابسـه الأشـياء التـي يريـد تبادلهـا مـع متجـر «نبيـل لوقـا» المحصـن والمسـلح بشـدة والـذي يحتـوي عـلى كل مـا تحتاجـه بدايـةً مـن الطعـام مـرورًا بالرفاهيـات، فـإذا كنـت تريـد شراء شيء فيجـب أن تعطـي مقابلـه شـيئًا آخـر يريـده نبيـل.

ورأى نجيـب في آخـر مـرة زار فيهـا المخـزن الـسري أنهـم سـيعانون مـن نقـص في مخـزون الوقـود الـلازم لموقـد الكيروسـين الـذي يسـتخدمونه في الطهـي وأحيانًـا للتدفئـة في ليـالي الشـتاء البـاردة.

وعنـد دخولـه للمتجـر الكبـير عـلى أنـه متسـول وجـد أحـد الأشـخاص يسـتقبله عنـد البـاب وهـو يحمـل رشاشًـا ويصوبـه نحـوه وينظـر إليـه بتـشرذم ويـكاد الـشرر يتطايـر مـن عينيـه مـن الغضـب قائـلًا: «مـاذا تريـد؟»

نجيب: «أريد أن أقابل نبيل باشا معي أشياء قيمة لاستبدالها.»

الحارس: «أين هي هذه الأشياء؟ أريد أن أراها.»

ليخـرج نجيـب سـاعة ذهبيـة رولكـس كانـت لوالـده المتـوفى وبعـض

مستحضرات التجميل والروائح الغالية التي تمتلئ غرفة أخته بها ولم تعد تستخدمها الآن.

ونظر الحارس الغاضب للأشياء وقال له: «تعالَ ورائي.»

مشى الاثنان في ممر طويل به ضوء خافت من النهار وعند نهاية الممر كانت هناك غرفة نبيل بمكتبه الضخم بالغرفة المليئة بالتحف ورؤوس الحيوانات والأسلحة بالإضافة للخزانة الكبيرة التي توجد بجانبه.

دخل نجيب الغرفة وهو يأمل في أن يخرج وهو حاصل على ما أتى من أجله، متمنيًا أن تنال الأشياء التي معه إعجاب لوقا.

وألقى نجيب السلام على لوقا، الرجل ذي الشعر الأبيض والقميص الأبيض الناصع والرائحة الذكية، فأرمقه نبيل نظرة من تحت النظارة ولم يرد عليه وصمت برهة قبل أن يقول: «ماذا أحضرت معك اليوم؟»

نجيب: «نعم، لقد أحضرت لك روائح من النوع المستورد لم يتم استخدامها إلا قليلًا وهناك كريم عناية بالشعر.»

تناول نبيل الأشياء من نجيب وهو يقول له بعد أن قرأ محتوى العلبة: «ولكنها عطور حريمي.. اممم لن تضر.. وكريم للشعر! أتسخر مني؟ أنت تعلم أن شعري خفيف! قل لي ماذا تريد في المقابل؟»

نجيب: «لقد نفذ مني الكيروسين وأريد جركنًا أو اثنين.»

لوقا: «هذه الأشياء لن تكفل لك حتى ربع جركن كيروسين.»

نجيب: «انتظر.. انتظر.. لقد أحضرت شيئًا قيمًا وأعتقد أنه سيعجبك..»

ليخرج نجيب الساعة الرولكس الذهب من جيبه ويريها إلى نبيل الذي لم ينطق بكلمة وظهر في عينه لمعة انعكست على وجهه أظهرت اهتمامه بالساعة. ولكنه قال متظاهرًا بعدم الاهتمام: «إنها تقليد.»

نجيب في غضب: «ماذا؟ إنها أصلية، وإذا كنت لا تريدها فقل لي وسآتي لك بشيء آخر.»

فقال نبيل مسرعًا بابتسامة صفراء: «ولكني لن أرجعك خائب الرجاء، سأعطيك جركنًا واحدًا مقابل الساعة والعطر والمستحضرات.»

نجيب: «ولكن.. هذا قليـ..»

نبيل: «أنا لا أسألك عن رأيك أو أخيرك.. ستأخذ هذا الجركن وستذهب لمنزلك.»

وهنا أدرك نجيب أن الآلاف سيتربصون به ويأخذون منه الجركن وربما يُقتَل قبل أن يصل إلى المنزل الذي يبعد مسافة 15دقيقة بالمشي على الأقدام من متجر لوقا.

ففكر كيف يخرج من هذا المأزق فهو في حاجة لهذا الجركن والذي كان ثمنه باهظًا جدًّا وكلفه ثروة وذكرى من أبيه الراحل، ولا يستطيع تركه لأنه لا يضمن أن يعود ويعطيه له لوقا مرة أخرى، فنظر حوله ليجد أحد الحراس المدججين بالأسلحة أمام المتجر يركب عربة من عربات المتجر وهي نصف نقل فسارع إليه وتحدث معه قليلًا ووافق الحارس على توصيله مقابل بعض أكياس الأرز.

وانطلق السائق والحارس بجانبه يحمل سلاحه ونجيب يجلس في الخلف منبطحًا على ظهره كي لا يراه أحد بعد أن اشترط الحارس عليه

أن يكون بالخلف مع جركن الكيروسين، ولم يجد نجيب إلا أن يوافق.

وكان منظر العربة وهي تسير وسط الشوارع والبيوت المنهارة والناس الذين يخرجون من الركام ينظرون لها على أنها أعجوبة من العجائب نادرًا ما يروها في هذا المكان.

ووصلوا للشارع، وهنا أدرك نجيب أنه فعل شيئًا غبيًّا جدًّا، فهو لم يقل لحسن أنه سيأتي بعربة فهو لم يكن يعلم بأن كل هذا سيحدث!

واطمأن بعد أن تجاوزوا ربع الشارع وقال لهم نجيب: «المنزل عند الشجرة الكبيرة التي تقع على اليمين، سنقف هناك.» وفجأة انطلقت رصاصة تعلم طريقها إلى صدر السائق الذي خر صريعًا في الحال على عجلة القيادة، وتوقفت العربة على الجانب ونزل منها الحارس الذي ضُرب برصاصة في رجله جعلته يزحف محاولًا الوصول إلى خلف العربة للاحتماء، ولكن رصاصة أخرى باغتته في الرأس.. وهنا قام نجيب بالصياح عاليًا بكل ما يستطيع من قوة بعد أن خلع القلنسوة التي يرتديها مظهرًا وجهه لحسن المتمركز في الشرفة مع بندقية القناصة وكان متأكدًا أنه سيرى وجهه.

ونزل من الصندوق الخلفي وهو يقول: «لا تضرب يا حسن أنا نجيب جارك.»

واقترب حتى وصل قريبًا من المنزل ليجد حسن مطلًّا من الشرفة وهو يحمل البندقية قائلًا له: «من هؤلاء؟ وكيف لم تخبرني بأنك ستحضر ومعك أشخاص أغراب؟»

وحكى نجيب له القصة بأنه كل فترة يذهب إلى متجر لوقا التاجر

الجشع لكي يقوم باستبدال بعض الأشياء مقابل الطعام أو الوقود وأن هذه السيارة كانت تقله في مقابل بعض أكياس الأرز بسبب خوفه من أن يتعرض له أحد أثناء طريق العودة.

وهنا أدرك حسن ما فعل قائلًا: «يبدو أن رد لوقا لن يتأخر وسيكون قاسيًا، فقد قتلنا أحد رجاله.. يجب أن نعد العدة للرحيل، ولكن أريد أن نخرج خروجًا عسكريًّا مشرفًا يليق بي.»

وهنا نظر نجيب إلى حسن وهو يبلع ريقه متسائلًا: «ماذا تقصد بخروج عسكري؟»

قام حسن بقيادة العربة إلى نهاية الشارع وحمل الاثنان الجثتين وقاما بإلقائهما في بداية الشارع، ويبدو أن هناك بعض الأشخاص الذين قد أسرعوا للجثث ليأخذوها بعيدًا، ربما لأكلها كما تقول الشائعات هذه الأيام.

وأعد حسن العُدة لهجوم لوقا المرتقب وقام بإعادة ضبط جرس الإنذار عند بداية الشارع وأعد بعض الكمائن من القنابل اليدوية، وأحضر معه الكثير من الأسلحة المميتة والدقيقة والتي لا تأخذ وقتًا في التلقيم.

وجلس الاثنان في انتظار الهجوم من فوق السطح بعد أن قاما بجمع كل الطعام الممكن في العربة للرحيل وقاما بتحصين العربة على قدر الإمكان لتكون منيعة ضد هجمات المارة والقناصة أثناء سيرهم نحو القرية الموعودة التي سمعوا عن أنها أمل البشرية الأخير.

ومر اليوم وهما ينتظران الهجوم ليستلقيا مسندين ظهريهما على سور السطح من التعب حتى أيقظ حسن نجيب قائلًا له: «انهض بسرعة لقد جاؤوا.»

قال نجيب في فزع: «كيف علمت؟»

رد حسن: «لقد رن الجرس وأنت نائم وهم ينزلون من العربة في هذه اللحظة.»

حينها تناولت بندقية ونظرت إلى القنابل اليدوية التي بجانبي والتي أعلم أني سأستخدمها لا محالة، وفي لحظة اهتز الشارع بأكمله عندما مر عدد من الحراس الخاصين بلوقا على خيط موصل بعدد من القنابل اليدوية والتي انفجرت في الحال مخلفة خسائر وقتلى فيهم، وبدأ حسن بقنص من يراه من الحراس في ظل انعدام الرؤية بسبب الانفجار الأخير.

وقام نجيب بالاستئذان من حسن للاطمئنان على أمه وأخته ومعرفة مدى جاهزيتهما للرحيل في أي لحظة، وعندما تأكد أنهما بخير صعد مرة أخرى إلى السطح ليجد أن حسن لا يكف عن القنص والقتل في حماسة وسعادة منقطعة النظير وهو يردد: «هذا انتقامي لعائلتي.»

قال نجيب: «نحن جاهزون يا حسن، هيا بنا قبل أن يأتوا إلينا.»

رد حسن: «لا، اذهب أنت وعائلتك وأنا سأشغلهم قدر المستطاع عنكم، فلا أريدك أن تجرب مرارة فقدان أحد أفراد عائلتك كما حدث معي أنا.»

تأثر نجيب من كلمات حسن وقام بمصافحته بقوة وعيناه تحبسان الدموع، قائلًا له: «لن نتحرك من العربة إلا بعد أن تصل.»

قال حسن له: «وإن اقترب منك حراس لوقا أو إذا قُتلت فانصرف فورًا.»

قال نجيب: «اتفقنا، سأنزل الآن وآخذ أختي وأمي للسيارة في نهاية الشارع.»

نزل نجيب للشقة وصرخ في أخته في انفعال: «هيا بنا لا يوجد وقت.»

وأثناء نزول ثلاثتهم وركضهم على جانب الشارع تحت الشرفات أصابت رصاصة ظهر الأم وسقطت في الأرض مغشيًّا عليها، فأخذها لأحد مداخل البيوت المجاورة مع أخته وحاولا إسعافها بكافة الطرق ولكنها ماتت.. وأخذت أخته تبكي بشدة، وأغلق عيني أمه وقام بحملها على ظهره حتى وصلوا للعربة، وأثناء ذلك وجه أنصار نبيل صاروخ RPG إلى السطح وتبعه الكثير من القنابل اليدوية لينهار المنزل على حسن.

حينها قرر نجيب أن يهرب بالعربة بأقصى سرعة بعيدًا حتى اختفى العمران من حوله، وفي الصحراء قام بدفن والدته بمساعدة أخته بعد أن صليا عليها، وأكملا طريقهما نحو القرية المزعومة وكلاهما تملؤهما الرغبة في أن يجدا آخر أمل تبقَّى للإنسانية.

الشباك الثالث عشر

ععع عععععع ععع

ععع عععع ععع ععع

عع ععع ععععع ععع

عع عععع ععع ععع ععع

ععع عععع ععععع

عععع ععععع ععع

شروق كمال

قل لي ما هو برجك..
أقل لك من أنت

بقلم.. دانة الخياط

وصلت مبكرة كعادتي، ألقيت نظرة خاطفة من نافذة المطعم، أرتقب وصولهن، فقد تواعدت زميلات العمل على اللقاء الطارئ في أحد المطاعم الإيطالية المنتشرة بكثرة في البلدة، وذلك لعقد اجتماع معنون بـ/ آلية التعامل مع المديرة الجديدة. وبالفعل تم اللقاء في جو تخيم عليه الجدية التامة، رغم أن المكان كان يوحي بالرومانسية الفائقة، كانت الزميلات متجهمات جادات، إلا أن إحداهن انبرت قائلة:

- يا زميلات العمل، لقد رأيت المديرة الجديدة، ويبدو لي من اللمحة الأولى أنها صارمة جدًّا، لهذا ولمصلحتنا جميعًا علينا وضع آلية للتعامل معها، وقد بلغني أنها من برج الجوزاء، وبين يدي وثائق مهمة اجتهدت في استخراجها من الشبكة العنكبوتية، فيها مواصفات

مواليد هذا البرج، فهلا قرأتها علينا أيتها الزميلة؟ مشيرة إلى الزميلة الثانية.

وبدأت الزميلة الثانية بالقراءة، فقالت:

- ما يهمنا من الوثيقة هو الآتي: الجوزائية المديرة: كان الله في عون الموظفات تحت رئاسة المديرة المولودة في برج الجوزاء، رغم أنها شخصية إدارية رائعة. تتقيد المديرة من هذا البرج بصلب الموضوع وتكره التفاصيل الهامشية. مواقفها في العمل يتخللها المد والجزر. قادرة على إخفاء نواياها فتتصرف عكس ما تُضمر. حجرها المفضل هو العقيق. سليطة اللسان، محاورة ذكية، مزاجيتها قاتلة، كريمة تراعي مشاعر الغير، تحب الإطراء والمديح.

فقالت الزميلة الثالثة: «يبدو أننا أمام شخصية ليست سهلة أبدًا، وأعاننا الله عليها، لذا علينا تحري الدقة.»

فردت الزميلة الرابعة: «نعم معك حق في ذلك، دعونا إذن نرتب أفكارنا، هذه الشخصية تكره التفاصيل، إذن تعاملنا معها يجب أن يكون موجهًا للهدف من دون حشو كلام أو زيادته.

النقطة الثانية: بما أن مواقفها فيها مد وجزر يعني إمكانية التفاوض معها، ولنضع على رأس القائمة زيادة الرواتب، وتغيير فترة الدوام حسب ما يتناسب مع وضع الموظفات.

قادرة على إخفاء نواياها، هنا يلزمنا أن نقرب إحدانا منها لتأتينا بالأخبار الصحيحة.

حجرها المفضل العقيق، إذن لنجمع مبلغًا ونستقبلها بهدية بها

عقيق مقلد، فلن نخسر شيئًا، وأنا على يقين بأنها ستقول: هذه بداية مبشرة وهذا حجري المفضل.

أما عن أنها سليطة اللسان، فأفضل طريق للتعامل مع هذه الصفة هو اصطناع التأدب معها.

تحب الإطراء والمديح، فأكثرن من هذا يا زميلات.»

عندها استلمت الزميلة الأولى دفة الحوار مرة أخرى وقالت: «هذا تكتيك سليم»، وسألت الموظفات: «اتفقنا أيتها الزميلات؟» وهززن رؤوسهن علامة الإيجاب.

أما أنا فقد كدت أنفجر من الضحك، وبصعوبة بالغة تمالكت نفسي، فأنا أيضًا من برج الجوزاء، ولكنهن ولشدة حماستهن تناسين الأمر، فقررت أن أدير رؤوسهن نحوي، وكنت أعلم أن اثنتين منهن من برج الأسد، والثالثة من برج الدلو، أما الرابعة فكانت من برج الميزان، ففاجأتهن سائلة بجدية:

– يا زميلات العمل، ألم تعلمن بتنبؤات الأبراج لهذا اليوم؟

فالتفتن لي وكلهن فضول للمعرفة، فأجبت:

– برج الأسد: سيكون من الصعب عليك التخلص من أحد المديرين الجدد الذين يكدرون عليك عيشك، حاول أن تحافظ على رباطة جأشك حتى لا تخسر عملك.

برج الدلو: الأجواء السائدة في المكتب لا تشجع على التفاؤل ولا العمل، حاول أخذ إجازة تفاديًا للوقوع في المشاكل.

برج الميزان: تحظى أفكارك بإعجاب مديرك الجديد، وتتحسن أعمالك، وتحصل على ترقية مهمة، ولكن حذار من ثرثرات زملاء العمل، ولا تهدر وقتك في النميمة أو التحدث مع الزملاء في أمور تافهة لا قيمة لها حتى لا تفسد أمورك.

وتناولت حقيبتي، وهممت بمغادرة المكان، وهن متسمرات في أماكنهن، فاغرات الأفواه.

أما أنا فساءلت نفسي: لما لا يقوم كل موظف بإتقان عمله فقط، وأنا على ثقة تامة أنه عندها سيشعر براحة الضمير أولًا، ثم كرامة النفس، وأخيرًا سيكسب احترام مديره له.

الشباك الرابع عشر

ععععع ععع..

ععععع ععع عععع ععععع..

عععع عععععع عععععع

ععع ععععععع عععععععع ععع

عععععع عععع ععع عععععععع

ععع عععع عععع عععععع..

ععععع ععع ععععع عع ععع ععع عععععععع عععععععع

ععععع عع ععع عع عععععععع ععع ععععع عععع عععععع

ععععع عع ععع ععع ععع ععععع عع عععععععع

شروق كمال

فالحب وحده أحيانًا لا يكفي!!

بقلم: منى لبيب

تنظـــر مـــن نافـــذة إحـــدى غـــرف المستشفيات الفاخرة المطلة على النيـل بحـي المعـادي وهـي التـي قـد اعتـادت طعـم الأكل المسـلوق بـدون أي مـرق وأصبحـت الميـاه والطعـام سـواء بالنسـبة لهـا فكلاهما وسـيلةفقط لـكي تبقـى عـلى قيـد الحيـاة.

وبينـما هـي شـاردة في المـاضي وذكرياتـه المؤلمـة، اقتحـم صـوت طرقـات البـاب خلوتهـا لتجـد آخـر شـخص تتوقـع رؤيتـه، واسـتمرت تتأكـد مـن حاسـة النظـر لديهـا بفـرك عينيهـا حتـى تتأكـد مـن أنـه هـو..

- معقول!! أنت.. «كامل»!!

هكذا قالت سلمى باستنكار.

وقاطع كامل نظرات التعجب قائلًا:

- نعـم أنـا.. جئـت اليـوم أطمـئن عليـك فـور علمـي بمرضـك وأشرح لـك

كل ما بدا من معاملة ظاهرة لك خاصة بعد رسالتك التي أرسلتيها إليَّ منذ أيام.

كانت سلمى قد أرسلت لكامل رسالة فحواها كالتالى:-

«مرت سنوات كثيرة على فراقنا وكل منا ذهب في طريقه المرسوم له في اللوح المحفوظ ولم أكن أعلم أنك ستظل عالقًا بخيالي كل هذا العمر رغم أن قرار الابتعاد كان قراري.

كنت أراك دائمًا بأحلامي كما كنت تأتي في سابق عهدنا طفلًا صغيرًا يعطيني الورد ويقبل جبيني.

حاولت كثيرًا أن أعرف ما فعله بك الزمان وكيف صارت حياتك بدوني ولكننا الآن بدروب مختلفة ولن نتقابل وكل منا لديه من المبررات ما تجعله لا يستطيع الاقتراب.

أخطأت كثيرًا حين قررت أن أمحو تلك العقبات وخلق المبررات لأحادثك رغم كل ما كنت تبديه لي من اللامبالاة التي أعلم يقينًا أنها تحوي بداخلها حبًّا لا ينضب ولن يموت.

ولكن يا عزيزي أحتاج أن أرى في تصرفاتك وبين سطور كلماتك ما يجعلني أُبقي على الكلام معك، فأنا في النهاية بشر لديَّ مشاعر وأحاسيس تحتاج أن تُروى لتزدهر حتى ولو بداخلي فقط كي أقوى على محادثتك دومًا.

لماذا تعاملني هكذا؟

سؤال سألته لنفسي كثيرًا ولا أرى له إجابة شافية تغنيني عن ما أعانيه معك.

لو تعلم كم أقاسي حين أقرر ألا أحادثك ولو ليوم واحد لأُظهر لك فقط أن بداخلي حزنًا دفينًا بسبب معاملتك لي، وليتك تبالي! فلديك من الكبر ما يجعلك تعاند وتبعد ولا تعترف بتقصيرك وخطئك.. هكذا كنت معي في سابق عهدنا وحتى الآن أنت كما أنت لم تتغير بعد.

ابتعد قدر ما تستطيع فلم يعد يغريني في الاقتراب شيء، بل بالعكس الاقتراب يشعلني حد الاحتراق.

كنت أدخر لك طيلة السنوات الماضية مشاعر وذكريات لا تُنسى وكنت أعلم أنه سيأتي يوم لأرويها لك لذا كنت أحتفظ بأدق تفاصيلها لأقصصها عليك كاملة دون انتقاص، وحين قصصتها عليك وجدت عندك باقي الحكايات والذكريات واكتشفنا أننا لم ننسَ لا أنا ولا أنت ولم يستطع الزمان محونا من دفاتر بعضنا بعضًا.

يكفيني ما وصلت إليه معك حتى اللحظة، فقد وصل إليك كل ما مررت به وسبب ابتعادي عنك وحبك الخالد بداخلي كان يبدو ظاهرًا في كل كلماتي ومواقفي معك طوال فترة محادثتنا سويًا.

لا يهمني الاستمرار إن كان معناه أن أتنازل أكثر مما ينبغي، لست أنا من تقبل أن تكون الطرف الأضعف في العلاقة وأن تكون دائمًا آخر اختيار لك.

لا أريد أن أكون عبئًا على أحد، من لا يراني مهمة في حياته لا أريده مجددًا ولو كان قلبي بيديه.

سأسحق قلبي بيدي قبل أن يجرني لعلاقة تستنزف كل قواي ومشاعري وأهمهم كرامتي.

رأيت منك من الجحود ما يجعلني لا أريد أن أجيب حتى عن سؤالك..

«كيف حالكِ اليوم؟»

وذلك لأنها تعقبها كالعادة جملة تكررها على مسامعي بشكل شبه يومي.

يمكنك الابتعاد بعد الإجابة إن أردت!!!

وكأنك تقول لي: «أنا لا أبالي بكِ ولا بالاستمرار بمحادثتكِ يا عزيزتي، فأنا الطرف الأقوى الذي يستطيع الاستغناء عنكِ في أي وقت.»

ستشتاق قريبًا.. تذكَّر.. وستأتي لتناديني.. ولكن هل الشغف بالاستمرار في محادثتك سيكون حيًّا أم ستموت الأحاديث مثلما أمت بداخلي رغبتي في التواصل معك؟

أتنفس عشقك، وليتك تعلم كم أعاني وأنا أتجرع مرارة فقدك من أيامي مرة أخرى، يا رفيق طفولتي وشبابي، ولكن بكامل إرادتي أعلنها لك اليوم وبدون تردد ولا خوف: نويت الاستشفاء من إدماني لك ولن أتراجع.»

استكمل كامل حديثه معها بكل حنين: «كيف حالك يا سلمى؟ وأتمنى أن تجاوبيني اليوم ولا تلتزمي الصمت، علمت خبر مرضك صدفة وعند سؤالي عليك إحدى صديقاتنا المشتركات أخبرتني بأنك تمرين بوعكة صحية وجئت لأطمئن عليكِ وأرد على خطابك بنفسي.

لـن نشـفى يـا سـلمى ولـن نـبرأ مـن هوانـا أبـدًا، حبـي وحبـك خُلقـا للأبديـة، مـا دامـت الـروح في الجسـد سـتظل قلوبنـا تنطـق بـه.

لم أتهـرب منـك حينـما عاودنـا الاتصـال بعـد سـنوات الحرمـان والتـى لم أنسـك بهـا قـط، وكـم تمنيـت أن أنتهـي مـن التفكـير بـك ولـو يـوم واحـد ولكننـي لم أسـتطع.

كنـت أحادثـك وداخـلي رغبـة تجتـاح قلبـي أن أظـل معـك فيـما تبقـى مـن العمـر، ولكـن القـدر أوضـح لنـا في كل مـرة أننـا لـن نجتمـع في حيـاة واحـدة يـا رفيقـة العمـر.»

لم تنطـق سـلمى بكلمـة واحـدة وكأنهـا اقتنعـت الآن أنهـا ليسـت رغبتـه وأنـه حكـم القـدر، وقاطـع شرودهـا قائـلًا: «لـن أنسـاكي وأتمـم اللـه شـفاءك عـلى خـير، وسـأطمئن عليـكي مـن فـترة إلى أخـرى.»

تركهـا كامـل وهـي بداخلهـا سـعادة خفيـة بأنهـا تأكـدت مـن حبـه لهـا الـذي ظـل خالـدًا رغـم كل الظـروف والسـنوات التـي مـرت، وهنـا دخلـت ابنتهـا «سـمر» لتقطـع خلوتهـا وتسـألها: «مـن هـذا الـذي خـرج لتـوه مـن عنـدك يـا أمـي؟»

نظـرت إليهـا وابتسـمت وقالـت : «صديـق قديـم جـاء ليطمـئن عـلى صحتـي.»

ابتسـمت سـمر وقالـت لهـا: «علمـت يـا أمـي مـن لمعـة عينيـك مـن يكـون هـذا الصديـق، إنـه هـذا الـذي تروين قصتـه لي منـذ طفولتـي وكـثر الحديـث عنـه منـذ وفـاة والـدي، ولكـن لم لا يـا أمـى؟»

قالت لها سلمى : «فات المعاد يا سمر، كبرنا وكل منا لديه حياته ومبرراته لعدم الاستمرار، فعلاقتنا الآن مشكلاتها أكبر من ذى قبل، حاولت ولكني أيقنت الآن أنه لا محالة من العيش سويًا.. فالحب وحده أحيانًا لا يكفي!!»

الشباك الخامس عشر

عع ععع عععع عع ععع

عععععع عع عععععع

ععععع ععععع عععععع

عععععع عععع عععع

عععع عع ععععع ععععع

عععععع عععع ععععع

ععع عععععععع.. عععع

شروق كمال

أمل

بقلم: شروق كمال

انتشرت ألسنة النيران من النافذة الوحيدة للغرفة، فتحت عينيها فاحترقتا من الحرارة، انتفضت من مكانها صارخة: «حريق.. حريق!» امتدت أيدي الدخان إلى حلقها لتقتلع أنفاسها من رئتيها، أجهشت في البكاء، ووضعت يدها على صدرها.. «أنا باحلم.. ولَّا هي دي جهنم؟» تلاحقت الصور أمام عينيها المغلقتين من حرارة ألسنة اللهب وأصوات تساقط الأخشاب من السقف فوق رأسها، في هذه الحجرة ماتت أمها من أسبوع بعد صراع مع مرض السرطان، لم تمتلك رفاهية العلاج، وقائمة الانتظار الطويلة ألقت بها في أحد أركان هذه الحجرة حتى لفظت أنفاسها دون أن تصرخ ألمًا. كانت أمل تصرخ نيابة عنها وهي ترى أمها تموت ببطء في هذه الحجرة. وبعدها جاءها خبر وفاة والدها العامل البسيط تحت عجلات أحد الميكروباصات اللاهثة وراء المزيد من الأدوار على الدائري.. «يا أمل.. اطلعي يا بت م الشباك!» جاءها

صوت جارتهم الست علية وهي تصرخ من الخارج وبقية النسوة يشاركنها الصراخ عليها حتى قبل وفاتها.. «يا رب، الطف بيها يا رب..» جاءها صوت عم عبد الله إمام المسجد بصوت باكٍ متهدج. أغمضت أمل عينيها وألقت بنفسها وسط النيران إلى خارج الغرفة. احتضنتها الست علية ببطانية لتطفىء ما اشتعل من جسدها وملابسها.

حاول الجيران إخماد النيران ولكنها لم تهدأ حتى أتت على الغرفة بأكملها، وعلى ما تبقى لأمل من الحياة. «الله يخرب بيتك يا شيخة كنت هاتحرقي العمارة كلها.. منك لله يا بعيدة!» هجم زوج الست علية، عم عليوة الجزار، على أمل يريد ضربها، بينما وقفت الست علية في وجهه كسد منيع.. «جرى إيه يا راجل.. قدَّر ولطف.. الوابور تلاقيه فرقع والبت نايمة، جرالك إيه يا عليوة.. الله!» أخرج عم عبد الله من جيبه خمسة جنيهات ودسها في يد أمل وهو يتمتم: «يعوض عليكي ربنا يا أمل.. يا بنتي.. معلش المؤمن مصاب. انفض الجيران من حول أمل الواحد تلو الآخر، مع وصلة من مصمصة الشفاه والحوقلة على ما أخذه الريح من البلاط، وأضحت أمل بلا مأوى يسترها، لا تملك إلا الملابس المتفحمة التي ترتديها.. «هاتعملي إيه يا بت دلوقتي، عندك قرايب تروحيلهم؟؟» تساءلت الست علية وهي تهز رقبتها التي تتحرك بصعوبة من الحلق المخرطة الذهب الذي يتدلى من أذنيها مصطدمًا بكردان من الذهب يجثم على صدرها، يصطكان ببعضهما ليصدرا موسيقى تصاحب حركاتها وكلماتها.. «لا يا خالتي.. ماعنديش.. أنا هانام هنا برا الأوضة.» كانت أمل تسعل بقوة

حتى كادت تفقد وعيها، فاحتضنتها الست علية وقالت لها: «لا يا ختي.. هاتنامي تحت عندي.. دي أمك كانت حبيبة الكل.» ورمقت زوجها بنظرة لتسكته قبل أن يبدأ في النهيق من جديد.

«ريحتك شياط!!» هكذا استقبلتها بنت الست علية، تفيدة، طالبة الثانوي التجاري، بنت المعلم عليوة التي كانت مطمع شباب المنطقة لمركز أبيها المالي، السنيورة الغندورة، صاحبة أسوأ سمعة في المنطقة، يبدو أن زواج المال والسلطة قد أنجبا الفساد ذات نفسه. طأطأت أمل رأسها وجسدها يرتعش من الحروق التي ألمت بجسدها النحيل. وكزت الست علية ابنتها: «لمي نفسك يا بت.. قومي شوفيلها حاجة تلبسها عشان آخدها للمستوصف الدكتور يبص عليها.» مصمصت تفيدة شفتيها ودخلت متثاقلة لغرفتها.

«والنبي يا خالتي عاوزة أكلم مسعد.. بعد إذنك يعني..» كانت عينا أمل تفيضان بالدموع بعد أن استوعبت أنها فقدت آخر رصيد لها في النجاة وأن رصيدها من الصمود لم يعد يسمح بإجراء مكالمة مع السعادة، ومسعد خطيبها الذي يعمل محصلًا في هيئة النقل العام كان بالأمس يحاول إقناعها بأن يتزوجا في هذه الغرفة الصغيرة.. «على الأقل بعد وفاة خالتي، مش هاعرف آجي أطل عليكي.. أهو نتجوز وربك يبعت.. محدش بينام من غير عشا»، وهي وعدته بالتفكير، فقد ضاق به منزل أمه بعد عودة أخته بأولادها الثلاثة إلى منزل أهلها بعد طلاقها من زوجها، كانت أمل هي ملاذه وحلمه.. كانت عيناهما أصدقاء منذ الطفولة، ثم تحولت الصداقة إلى حب.. «انتي بت جدعة..

وأنا بحب الجدعان..» هكذا كان تصريحه الأول بحبها، ساعتها وكزته في صدره واحمر وجهها خجلًا. كان مسعد حبيبها ولحظات السعادة الخالصة مع من اختارها رغم فقرها وبساطتها، فهي لم تجذب نظر أحد من العاملين معها في مصنع الورق الذي تعمل به، هي أخت للجميع.. أمل الجدعة.. وبس.. إلا مسعد، حلم الاحتواء الذي لا يأتي، وها هو المشوار يتضاعف وحتى سراب سقف يجمعهما يتلاشى في كابوس احتراق الغرفة.

(2)

عادت أمل إلى منزل عم عليوة الجزار متكئة على كتف الست علية ومسعد، وبعض أجزاء من جسدها ملتف بضمادات من آثار الحروق، وعيناها زائغتان كعيني عجوز. كانت أمل تتنفس بصعوبة من آثار الحريق على روحها، وكانت تشعر أن الدنيا تطبق على صدرها.. «اقعد يا مسعد يا بني.. البت دي ما أكلتشي حاجة م الصبح.. أقعد افتح نفسها..» خرجت تفيدة من الحجرة تجر أقدامها بسيمفونية الشبشب الخالدة، وسارت في اتجاه مسعد وهي تمد يدها للسلام عليه، لكنه لم يقم من مكانه لأن أمل كانت قد نامت على كتفيه، مصمصت تفيدة شفتيها وهي تقول.. «اتلم المتعوس على خايب الرجا.. أهلًا يا خويا.. ألا إنت شغال على خط كام يا عنيا؟؟» نظر لها مسعد شزرًا، وأشاح بوجهه عنها. حاول مسعد جاهدًا أن يقنع أمل بأن تأكل شيئًا ولكنها كانت تستيقظ لتنظر في ذهول لمن حولها. كانت مصدومة من وقع ما حدث. «طيب يا خالتي أنا هاسيبها تنام النهاردة وبكرة بعد إذنك

هاعـدي عليكـوا بعـد الشـغل.. أنـا هاخدهـا ع المكنـة للمسـتوصف يغـير لهـا ع الجـرح، مـا تتعبيـش إنتـي نفسـك كـتر ألـف خيركـم.»

«وسـت البنـات هاتنـام فـين بقـى إن شـاء اللـه؟» قالـت تفيـدة سـاخرة، وهـي تـدس لقمـة الفـول في فمهـا. نظـرت لهـا أمهـا في غضـب: «اخـرسي يـا بنـت ال.. إنتـي مـا لـك.. أنـا هاتصرف.. بـصي يـا حبيبتـي.. هافـرش لـك في أوضـة الجلـوس.. إحنـا لا حـد بيجيلنـا ولا بـيروح لنـا.. بيتـك ومطرحـك يـا بنـت الغاليـة.»

نامـت أمـل مـن جـراء المسـكن القـوي الـذي أعطـاه لهـا الطبيـب، لم يكـن يوقظهـا الألم بقـدر مـا أوقظتهـا ألسـنة النـيران التـي كانـت تطاردهـا في أحلامهـا فتسـتيقظ شـاهقة وممسـكة بصدرهـا، تحـاول أن تتنفـس فتفتـح عينيهـا وتجـول ببصرهـا فيـما حولهـا، ثـم تلقـي بنفسـها في دوامـة نفـس الكابـوس مـن جديـد.

اسـتعادت أمـل عافيتهـا خـلال الأيـام القليلـة التاليـة وعـادت إلى عملهـا. جمـع لهـا زملاؤهـا في المصنـع قـدرًا مـن المـال، كـما زارهـا عـم عبـد اللـه الـذي جمـع مـن الأهـالي وصنـدوق الـزكاة في الجامـع مبلغًـا لا بـأس بـه لبنـاء عشـة أخـرى كالتـي تقطنهـا، كـما تبرعـت لهـا بعـض الجـارات وزميلاتهـا ببعـض الملابـس.

«مـا لـك يـا مسـعد؟؟» نظـرت في عينيـه وهـما يسـيران عـلى الكورنيـش.. «أنـا افتكرتـك هاتفـرح لمـا أقولـك إن النـاس بيسـاعدونا..» التفـت لهـا مسـعد: «أنـا بتحـرق يـا أمـل وأنـا مـش قـادر أسـاعدك.. نفـسي يـا بـت أجيـب لـك أوضـة بجـد نتلـم فيهـا.. أنـا حاسـس إني عاجـز.. إنتـي بتقوليـلي

إزاي الناس بيشحتوكي وعاوزاني أحس إني راجل! إنتي تستاهلي أحسن من كده يا أمل..»

«إيه يا واد هانخيب ولا إيه؟؟؟ إيه بنشحت دي؟؟ الناس لبعضيها..» تنهدت أمل وهي تهون على نفسها وقالت بصوت احتضن غضب مسعد: «إزاي تفكر كده.. أنا عاوزة باب يدارينا يا مسعد.. عاوزة..» نظرت في الأرض وهي تهمس له: «عاوزة أترمي في حضنك وأقعد أعيط زي العيال..» ابتسمت.. لكن مسعد لم يكن أمامها.. كان يقف محدقًا في سمار النيل.. مسحت دمعة هربت من عينيها ووقفت بجانبه تحدق في غد لا يأتي.

(3)

كان عم عبد الله إمام المسجد هو المسؤول عن عملية بناء غرفة لأمل ومتابعة سير العمل كل ليلة بعد العشا، فيما كانت أمل تقضي معظم الوقت على السطح أمام مشروع الغرفة الذي كان يسير ببطء حسب توفر المال، كانت ترقب الحارة من السطوح، الشبابيك بيوت، والبيوت أسرار وحكاوٍ، كانت تمضي الساعات الطويلة تدور في دوامات المارة وحكاويهم وأحوالهم ومشاكلهم. من بعيد على أول الحارة، لمحت تفيدة تعود متغندرة عندما رفعت رأسها لتلقي نظرة على أمل وتلوح لها في سعادة، استغربت أمل مما رأت! «اللهم اجعله خير! يا ترى مخبيالي إيه البت اللئيمة دي؟» ثم ما لبثت أن لمحت مسعد يسير متثاقلًا، فنزلت بسرعة لتستقبله في الحارة.

- إزيك يا مسعد.. تعالَ ناخد المعدية و...

- لا يا أمل مافيش دماغ.. أنا مروح.

طأطأت أمل كطفلة فقدت لعبتها أو أضاعت قطعة حلواها الوحيدة التي جاد بها القدر.. «شكلك ماكنتش حتى هاتيجي تسأل عليا يا مسعد.. المهم إني اتطمنت عليك.. يلا سلام.. تصبح على خير..» استدارت أمل وسارت متلكئة حتى باب العمارة عندما استدارت لتجد مسعد ما زال واقفًا في مكانه محملقًا فيها.. انتظرت أمل أن يسارع مسعد لتطييب خاطرها، ولكنه ظل متسمرًا في مكانه، يرمقها بنظرات يائسة. ظلت على وقفتها لا تدري أتعود إليه وتكلمه أم تتركه وتصعد، ولكن ما قالته نظراته أخافتها، فتركته وصعدت راكضة.

تكومت بجانب سور السطوح، خائفة مرتعدة، تسترجع نظرات مسعد.. «يا رب.. حنن قلبه عليا.. ده أنا ماليش غيره يا رب.. يا رب ده أنا غلبانة ومالیش حد.. يا رب..» كانت الدموع تغسل وجهها الصغير وملامحها الغائرة.. ويداها المرتعشتان تحتضنان رأسها المتعب. ظلت هكذا حتى سمعت صوت الست علية تنادي من بير السلم: «يا بت يا أمل.. انزلي يا بت عشان تنامي.. أنا هاقفل الباب.. إنتي يا بت.. بتعملي إيه عندك؟» نزلت أمل، وقابلتها الست علية بابتسامة حانية: «إيه الهوا لطشك ونمتي فوق ولا وحشك السطح؟؟» ردت أمل بابتسامة وهي لا تستطيع الكلام، ودخلت بحركة آلية إلى غرفة الجلوس، شهقت عندما فتحت النور لتعد فرشتها للنوم عندما لمحت عم عليوة مرتديًا ملابسه الداخلية يدخن سيجارة بدخان أزرق، دخلت

وراءها الست علية: «ينيلك رااجل.. إنت لسة عندك.. ما قلت لك قوم اتوكس جوا في الأوضة.. إيه يا ختي الرجالة دول.. هيه حبكت السيجارة دي قبل ما تتخمد؟» رد عليها بصوته الجهوري: «إيييييه بيتي يا ولية أقعد في الحتة اللي تريحني.. أما مصايب بتتحدف علينا.. إيه النيلة دي..» قالها وهو يركل بقدميه فرشة أمل التي تنام عليها كل ليلة. أحست أمل برعشة تسري في جسدها، أبقتها هذه الرعشة مستيقظة طول الليل، تتقلب في قلق، تحاول أن تهدىء من الهواجس التي تهاجمها بضراوة.

(4)

مرت الأيام بطيئة متواترة، حاولت ألا تشغل أمل بالها بتباعد مسعد الملحوظ وفي قرارة نفسها كانت واثقة أن المياه ستعود لمجاريها بمجرد أن ينتهي بناء الغرفة على السطح. كانت تنتظر بشوق الأربعة حيطان التي ستجمعها بمسعد وتحاول أن توفر من مرتبها وتدبر جمعيات لتجهز نفسها، زميلاتها في العمل كن يتبارين في مساعدتها. ولكن فجأة تغيرت معاملة الست علية، أصبحت صامتة معظم الوقت، تستقبلها مطأطئة الرأس ولا تتجاذب معها أطراف الحديث كالسابق، كانت تهرب بعينيها بعيدًا عن عيني أمل، وتكتفي بأن تنادي عليها ليلًا لتنام، فتفتح لها الباب وتهرول إلى غرفتها.. لم تعد تنادي عليها لتشرب معها الشاي ولا تدعوها لتناول العشاء. استغربت أمل ولكنها حاولت جاهدة أن تكون ضيفة خفيفة، بمجرد أن ينادي

عـم عبـد اللـه لصـلاة الفجـر كانـت تنهـض مـن فرشـتها وتعيـد ترتيـب المـكان وتغـادر إلى عملها تنتظـر أمـام بـاب المصنـع حتـى يفتح أبوابـه، وإن كان نومهـا قـد أصبـح متقطعًـا ينهشـه صـوت ضحـك تفيـدة عـلى الهاتـف في غرفتهـا. كانـت تغبطهـا أحيانًـا عـلى بالهـا الرايـق واهتمامهـا بنفسـها، ولكنهـا لم تكـن تتمنـى أبـدًا أن تكـون مكانهـا، هـما طرفـان لا يلتقيـان أبـدًا، وجهـان للنقيـض. ألقـى مدحـت زميلهـا في المصنـع عليهـا التحيـة: «صبـاح الخـير يـا أمـل.. جايـة بـدري زي كل يـوم؟؟ هـا فطـرتي ولا لسـة؟؟» ابتسـمت ابتسـامة خفيفـة وقالـت: «الحمـد للـه يـا مدحـت»، رد ضاحـكًا: «مـا هـوَّا الحمـد للـه عـلى كل حـال بـس يعنـي فطـرتي؟؟» إنتـي آخـر مـرة كلتـي إمتـى؟؟؟ تعـالي بـس بسـم اللـه قبـل مـا بقيـة الغيـلان ييجـوا.. خـدي شـقة فـول وطعميـة.. امسـكي بـس..» دس مدحـت السندوتشـات في يديهـا.. «ربنـا يخليـك يـا مدحـت..» وجدهـا مدحـت فرصـة للجلـوس معهـا والسـؤال عـن أحوالهـا: «وانتـي عاملـة إيـه دلوقـت؟؟؟»

– الحمد لله يا مدحت.. رضا.

اسـتجمع شـجاعته وسـألها: «أمـال مسـعد مـش بيعـدي يروحـك ع المكنـة زي الأول؟؟؟» اضطربـت أمـل مـن السـؤال الـذي لم تحـاول أن تسـأله لنفسـها وتوقفـت عـن الأكل.. «شـكله مشـغول.. أصـل قربنـا بقـى نتجـوز.. أول مـا تخلـص الأوضـة ربنـا يسـهل..» رد مدحـت وعينـاه تحمـلان لهـا أمـاني حقيقيـة: «ربنـا يعمـل لـك الـلي فيـه الصالـح يـا أمـل إنتـي تسـتاهلي كل خـير.. أنـا هاتنقـل إسـكندرية عـلى فكـرة»، نظـرت لـه في اسـتغراب: «اشـمعنى يعنـي؟؟؟»

رد مدحت وهو ينظر لبعيد: «يعني.. هايفتحوا مصنع جديد هناك وعاوزين عمال، هاروح ريس وردية هناك.. أهو الواحد بيعافر يا أمل والله العيشة مابقتش بالساهل.»

عادت أمل من عملها وهي تتلكأ لعل خطاها تجمعها بمسعد ولكنها لم توفق، فقررت أن تتمشى وحدها على الكورنيش، تتنسم بعض عبير لقاءاتهما معًا. كانت نسمة الصيف تلقي تحيتها على ابتسامتها عندما لمحت مسعد يجلس وحيدًا، اقتربت منه.. «إيه يا بني.. فينك؟؟ ولا بتسأل ولا كإن خاطب واحدة اسمها أمل؟» رفع رأسه ونظر لها ثم طأطأ رأسه من جديد. جلست أمل بجواره وساد بينهما الصمت قطعه زفرة خرجت من مسعد وهو يهم بالوقوف، فبادرته أمل: «فيه إيه يا مسعد.. هوًا إنت متخانق مع أختك في البيت.. هي الحاجَّة بعافية ولا إيه!! لا إنت مش طبيعي.. لولا إني عارفاك كويس كنت قلت إنك بتتهرب مني!» جلس مسعد مرة أخرى بجوار أمل، وكأن كتفيه تنوءان بحمل ثقيل.. «إنتي مش عارفة حاجة يا أمل.. بصي يا بنت الناس.. العيشة بقت صعبة وأنا مش عاوز أمرمطك معايا- « أسكتته أمل بيديها الرقيقة على فمه: «ولا كلمة تاني يا مسعد ولا تفكر حتى.. أنا عمري طلبت منك حاجة ولا حملتك فوق طاقتك؟» احتضن يدها بين يديه: «أمل ماتصعبيش الموضوع عليا..» لم تستطع أمل أن تتمالك نفسها وانفجرت باكية: «سيبني دلوقتي يا مسعد اتفضل قوم روح.. مش كنت ماشي اتفضل.» دفنت أمل وجهها بين كفيها وأخذت تنتحب وتبكي، كأنها تبكي كل الذين فارقوها ولكنها

هـذه المـرة كانـت تبـكي نفسـها، تبـكي حلـمًا يتـلاشى مـن أمـام عينيهـا ومـن بـين يديهـا، وعندمـا تمالكـت نفسـها رفعـت وجهًـا منهـكًا وعينـين مذعورتين، تبحثـان عـن مسـعد علـه كان ينتظـر أن تنتهـي مـن بكائهـا ليعتـذر لهـا، لكنـه كان قـد تبخـر، ككثـير مـن السـعادة التـي خاصمـت أيامهـا.

(5)

عـادت أمـل منهكـة تجرجـر أقدامهـا، كانـت قـد دفنـت عزيـزًا هنـاك عـلى الكورنيـش وعـادت لتوهـا مـن جنـازة حبهـا، كانـت ترتقـي سـلم العـمارة لتصعـد عـلى السـطوح عندمـا مـرت بشـقة السـت عليـة وبابهـا المـوارب تنطلـق منـه زغاريـد عاليـة مدويـة، تصـم آذان حزنهـا الشـاهق. نظـرت عـبر البـاب لـترى تفيـدة تضحـك بصوتهـا الرنـان وتتمايـل عـلى.. مسـعد.. مسـعد!! مـا الـذي أتى بـه؟ هـل جـاء ليعتـذر لهـا؟ دفعـت البـاب ودخلـت وهـي تنـادي عليـه: «مسـعد!!.. إنـت جيـت؟؟؟» وقفـت تفيـدة بينهـما.. «أهـلًا أهـلًا إزيـك يـا حبيبتـي..» رفعـت حاجبًـا وهـي تقـول: «تعـالي سـلمي عـلى مسـعد.. خطيبـي..» مـادت الأرض تحـت قدمـي أمـل، واشـتعل صدرهـا ألمًـا.. تحجـرت الدمـوع في عينيهـا ومـات الـكلام. اسـتدارت ودخلـت غرفـة الجلـوس، جمعـت حاجياتهـا وخرجـت، وهـي تتحـرك بشـكلآلي كأنهـا تحلـم، لكنـه كان كابوسًـا مـن أصعـب كوابيـس أيامهـا. لم تسـتطع السـت عليـة أن تفتـح فمهـا بينـما اسـتمرت تفيـدة في ضحكهـا الرخيـص وتمايلهـا المفتعـل عـلى مسـعد الـذي تسـمر في مكانـه كأنـه يعـاني شـللًا. ارتقـت أمـل السـلم وهـي متكئـة عـلى الحائـط تشـعر

بـدوار شـديد حتـى وصلـت إلى السـطوح. كان عـم عبـد اللـه يجلـس مـع البنايـين الذيـن يشرفـون عـلى اللمسـات الأخـيرة، حياهـا: «أهـلًا يـا بنتـي، تعـالي يـا أمـل دي هانـت خاالـص.. أهـه دورة الميـة خلصـت فاضـل البويـة والبـاب والشـبابيك.» ابتلعـت أمـل ريقهـا: «كـتر خـيرك يـا عـم عبـد اللـه، كـتر خيركـم لحـد كـده.. أنـا مـش عـاوزة أكـتر مـن كـده.» نظـر عـم عبـد اللـه للشـبح الماثـل أمامـه في هيئـة أمـل: «مـا لـك يـا بنتـي؟؟ بكـرة برضـه الزغاريـد دي تبقـى مـن حـدك ومـن نصيبـك.. صـبرتي كتـير وربنـا هايكرمـك يـا أمـل يـا بنتـي.. كفايـة وقفتـك جنـب أمـك في عياهـا.. شـكلك تعبـان.. طيـب هانسـيبك تسـتريحي بقـى وربـك يدبرهـا في الباقـي..»

دخلـت أمـل إلى الغرفـة واسـتلقت عـلى الأرض.. وأخـذت تنتحـب في صمـت، كانـت تقطـع أوصـال حـب دام مـن طفولتهـا، كانـت تمـزق صـور مسـعد مـن مخيلتهـا، وكانـت تبـكي كل بسـمة اقتسـماها سـويًا، كل خطـوة جمعـت بينهـما عـلى الكورنيـش.. كانـت ترتعـد كورقـة مـن أوراق الخريـف أمـام ريـح عاتيـة، اقتلعتهـا ريـاح الظـروف لتلقـي بهـا في صحـراء الواقـع القاحلـة.

لم تنجـح الشـمس التـي تسـللت إلى الغرفـة أن توقظهـا لتذهـب لعملهـا، ظلـت مسـتلقية هنـاك عـلى أرضيـة الغرفـة بلا حـراك حتـى الظهـيرة. عندما فوجئـت بالنـور يتـلاشى مـن الغرفـة، رفعـت رأسـها بتثاقـل ثـم انتفضـت واقفـة.. «إيـه يـا بـت.. شـفتي عفريـت؟» هكـذا خاطبهـا عـم عليـوة الـذي كان يسـد مـكان بـاب الغرفـة. وقفـت أمـل بـلا حـراك، اقـترب منهـا عليـوة وأمسـك بيدهـا.. «خـدي يـا بـت..» ألبسـها عليـوة أسـورتين ذهبيتـين لهـما

رأسا أفعى. فسحبت يدها بسرعة: «إيه ده يا معلم؟؟؟» «إيه يا بت.. هاتجوزك على سنة الله ورسوله.. أنا ماليش في الحرام.. بس يعني مش لازم تسيحي لعلية والشارع وكده.. وهاخد لك أوضة برة.. ها قلتي إيه؟؟؟» قالها بصوت خفيض وقد اتسعت عيناه حتى كادتا تبتلعان أمل. أحست أمل بنفس ألسنة الحريق تلهبان يدها مكان الأسورتين فصرخت من الألم وخلعت الأسورتين مسرعة وألقت بهما على الأرض. نظر عليوة لأمل شزرًا ثم لملم الأسورتين من الأرض وهو يحاول أن يحتفظ برباطة جأشه.. «حد يرمي نعمة ربنا ع الأرض.. معلش.. فكري كويس.. خدي فكرة واشتري بكرة.. ولا إنتي لسة بتفكري في ال.. اللي اسمه مسعد!» وأطلق ضحكة عالية: «يا بت ده واد خرع.. باعك عشان عيشة هنية ولقمة طرية.. ده أنا أشتري عشرة منه بفلوسي..» طأطأت أمل ثم نظرت بهلع إلى المعلم عليوة الذي استشعر خوفها منه فسار خارجًا من الغرفة: «ماتخافيش يا بت كده.. ده أنا هابقى جوزك.. هاستنى ردك.. ماشي؟؟ أنا بالي طويل.»

(6)

لم تشعر أمل بنفسها وهي تلملم حاجياتها بسرعة وتطلق لساقيها العنان على السلم، واستمرت أمل في الركض في الشارع وهي تبكي وترتعد تحت وطأة ما حدث لها.. كانت تلتفت وراءها وهي تشعر بيد عليوة تنهش جسدها المتهالك فتصرخ وتسرع أكثر في خطوتها.. قادتها قدماها إلى المصنع.. وصلت أمل وهي جثة هامدة ففقدت

الوعي أمام البوابة. التف العمال حولها وصرخت زميلتها زينب: «يا نهاااار اوعى إنت وهوَّا.. دي البت أمل.. يا حبيبتي.. ما لك.. وسعوا كده خلوها تاخد نفسها..» حملت زينب رأس أمل ووضعته في حجرها وأخذت تربت على خديها: «فوقي يا أمل..» وأخرجت زجاجة عطر من حقيبتها ورشت منها في أنف أمل.. فشهقت أمل شهقة أعادت لها الحياة وأعادتها إلى عداد الموتى الأحياء. نظرت أمل في رعب لمن حولها وانهارت باكية.. «لا حول ولا قوة إلا بالله.. مسكينة..» انفض العمال من حولها وبقيت معها زينب، ومدحت الذي جلس على الأرض بجانبها يشعر بالأسى لحالها.. «ما لك بس يا أمل.. إيه اللي حصل تاني؟؟» احتضنتها زينب وهي تنتحب فاستشعر مدحت الحرج وانصرف بعد أن رمقته زينب. وقفت زينب ومدت يدها إلى أمل: «قومي بينا من هنا يا أمل.. العمال كلهم دلوقتي مروحين.. مش منظر قعدتك ع الأرض كده»، قامت أمل مستندة على زينب التي يخافها الجميع للسانها السليط، ولكن قلبها كان اليوم ألين من الياسمين عندما جلست تبكي حال أمل وهي تقص عليها ما حدث ليلة البارحة وصباح اليوم.. «معلش.. حسبنا الله ونعم الوكيل فيك يا مسعد.. منك لله يا شيخ.. ربنا ما يبارك لك أبدًا زي ما كسرت بخاطر البت المسكينة دي.. معلش يا ختي.. سيبك من وجع القلب ده.. بكرة يجيلك اللي يستاهلك.. ما تعمليش في نفسك كده يا ختي.. ده لسة هايلعبوا بيه الكورة.. ربك بيخلص يا بت.. هاتعملي إيه دلوقت؟» نظرت أمل في رعب: «لا.. مش هارجع هناك تاني.. أبدًا.. إن شالله حتى أبات في الشارع.» وكزتها زينب في كتفها: «شارع إيه

يـا بـت الـلي تبـاتي فيـه.. تعـالي معايـا.. لـو الأرض مـا شـالتكيش أشـيلك في عنيـا.»

مضـت الأيـام ثقيلـة عـلى أمـل ولكنهـا للمـرة الأولى أحسـت أنهـا مسـتمتعة باحتـواء عائلـة زينـب ودفء وجودهـا بينهـم، ولكنهـا كانـت تنفـض هاجـس حلمهـا القديـم بالارتبـاط والاسـتقرار مـع مسـعد، كانـت تتحـرك مـع زينـب كظلهـا والتـي كانـت حريصـة ألا تتركهـا لخيالاتهـا وأفكارهـا بـل كانـت تنهرهـا كلـما لاحـت عـلى وجههـا خيـالات شـوقها لمسـعد وكانـت توقظهـا كلـما استشـعرت حنينهـا لذكريـات قديمـة.

خرجـت أمـل وزينـب في موعـد انصرافهـما مـن المصنـع وكان مدحـت في انتظارهـما، حياهـما واسـتمر سـائرًا معهـما فالتفتـت زينـب لمدحـت بتنمـر: «إيـه يـا أخينـا.. مـا خلصنـا.. فيـه حاجـة؟» وقـف مدحـت في وجـه زينـب: «أيـوة يـا زينـب فيـه حاجـة، ممكـن أتكلـم معـاكي يـا أمـل لوحدينـا؟» اسـتغربت زينـب مـن جـرأة مدحـت في الوقـوف بوجههـا، ولكـن قلبهـا الـذي عينتـه حارسًـا لأمـل استشـعر خـيرًا لهـا فأزاحـت نفسـها مـن طريقـه وغمـزت لأمـل وهـي تنـصرف: «مـاشي.. هاشـوفك في البيـت يـا قطـة..»

نظـر مدحـت لأمـل التـي كانـت تبتسـم في هـدوء: «خـير يـا مدحـت.. إيـه خـلاص مسـافر إسـكندرية.. ربنـا يوفقـك- « قاطعهـا قائـلًا: «أمـل ممكـن تسـمعيني.. أنـا مـا باعرفـش ألـف وأدور.» كان مدحـت يتصبـب عرقًـا وهـو يحـاول أن يسـتجمع كلماتـه وقلبـه يـكاد ينخلـع مـن صـدره: «أمـل أنـا بحبـك مـن أول مـرة شـفتك فيهـا في المصنـع، وسـيرتك الطيبـة بـين البنـات هنـا حببتنـي فيـكي أكـتر.. لكـن إنتـي.. كنتـي..» خفضـت أمـل

نظرهـا وسرت رعشـة في جسـدها، أكمـل مدحـت: «أنـا عـاوز أتجـوزك.. ونسـافر سـوا.. صدقينـي هاعمـل كل الـلي أقـدر عليـه عشـان أعوضـك عـن كل الـلي فـات.. أنـا.. إنتـي يـا أمـل كل دنيتـي.. بحبـك.. واللـه العظيـم بحبـك.. مـش عـاوزك تحبينـي.. بـس سـيبيني أسـعدك.» رفعـت أمـل عينـين ملؤهـما الأمـل.. وابتسـمت لوجـه مدحـت المتعلـق بـكل تفاصيـل ابتسـامتها.. وبعـد صمـت قالـت لـه في دلال: «مـش هاتعزمنـي ع الغـدا الأول؟؟»

بعـد سـنوات.. كانـت أمـل تسـتغرب كيـف اسـتطاع كورنيش إسـكندرية العـذب أن يغسـل كل ذكريـات كورنيـش القاهـرة المالحة.

الشباك السادس عشر

عععع ععععع

ععععع عع ععععع

عععع ععععع

عععع ععععع

ععععع ععععع

عععع ععععع

ععع عع عععع

عععع ععع عععععع

ععععععع

ععععع ععععععع

عععععع عععع ععع

ععع ععععع ععع

ععع ععع عععع عع عععع ععععع

شروق كمال

بوابة الجحيم

بقلم: إسلام سعيد

وقفت أرقب وتيرة الحياة المتسارعة من نافذة مكتبي في الدور التاسع، والمطلة على شارع جامعة الدول العربية. ومع ارتفاع الشمس إلى كبد السماء، ترتفع أبواق السيارات ويزداد التدافع، كأن الناس قد جُذبوا إلى دوامة طاحنة تُلقي بهم في قاع المدنية، حيث يعودون إلى قانون الغاب من جديد، يتجردون في هذه اللحظات من إنسانيتهم ويلقون بأنفسهم طواعية إلى ثقب أسود يبتلع أخلاقهم ومثلهم، تذكرت أن عليَّ أن أتصل بزوجتي «شروق» لأؤكد موعدنا اليوم.

تحدثت مع شروق على التليفون أؤكد عليها ميعاد لقائنا بعد انتهاء أعمالنا لكي نلقي نظرة سريعة على الفيلا الجديدة، والتي كانت مثار شك وتساؤلات منها بسبب أن السعر المعروض لبيع هذه الفيلا أقل من سعر السوق.. والحقيقة أنها كانت لديها وجهة نظر منطقية بخصوص هذا الشأن، ولكني لم أعر لهذه الشكوك أي اهتمام،

فعملي كمندوب مبيعات لإحدى سلاسل الصيدليات المشهورة غرس فيَّ مهارة اقتناص الفرص عندما تكون سانحة لي، بالإضافة إلى شرط والدتها عليَّ بأن حفل الزفاف لن يتم إلا بعد أن تتأكد من أن المكان الذي ستسكن فيه ابنتها سيكون بمنطقة راقية لكي تنعم ابنتها بالراحة والهدوء، وذلك على الرغم من أنه تم عقد قراننا من فترة واصبحت شروق زوجتي رسميًّا.

التقينا بأحد ميادين وسط البلد وركبنا تاكسي كي يوصلنا إلى أول كومباوند تم إنشاؤه في مصر والذي يقع على طريق السويس الصحراوي حسب ما قرأت عنه في جوجل، ودخلنا البوابة التي وصفها لنا مالك الفيلا والتي تقع في أحد الشوارع الهادئة والمليئة بالخضرة من أحياء تلك المدينة، وأخذت أقرأ اللافتات المعلقة على أبواب الفيلات في الشارع: «فيلا المستشار علاء الغرياني»، «فيلا الدكتور حسن أبو النور،» «فيلا..»

موجهًا كلامي لخطيبتي: «يبدو أن جُل جيراننا من الشخصيات المهمة والمرموقة يا شروق»، التي نظرت لي بعدم اهتمام وقالت: «المشوار بعيد عن شغلي وشغلك، ثم إننا مش معانا عربية وهنتعب جدًّا في المواصلات.» شعرت بخيبة الأمل من رد فعلها غير المتوقع وقلت لها: «العربية هانجيبها بعدين لا تقلقي، أهم حاجة إن والدتك ترضى عن الفيلا دي، أنا أصلًا بحاول أتخيل رد فعلها أما تعرف إني مش بس اشتريت شقة، لا دي فيلا بدورين وحديقة وفي حي من أرقى أحياء مصر!»

ردت شروق: «يعني إنت هدفك الأول رضا ماما وأنا رأيي مالوش لازمة؟!.»

اندهشت مما قلته على لساني وكيف لم أقم بحساب الكلمة قبل خروجها من فمي، وحاولت تدارك خطئي فقلت لها: «أنا آسف والله، أكيد أنا هدفي الأول راحتك.. بس أنا كنت عاوز رضا والدتك مع رضاكي طبعًا.»

نظرت إليها أملًا في أن تسامحني ولكنها ردت عليَّ بنفس الحدة السابقة: «أنا ما زال الموضوع بالنسبة لي مريب جدًّا، إزاي فيلا في كومباوند زي ده وثمنها 400,000 جنيه وكمان تقسيط؟!»

أنا: «أنا مش هاضيع الفرصة دي من إيدي يا شروق حتى لو اشتريتها وبعتها تاني وكسبت الفرق، لكن أنا مُصر عليها.»

نظرت إليَّ بعدم اهتمام وبنظرة أدركت منها أنها غاضبة مني، ثم سارت في طريقها وفجأة قالت وهي تشير إلى إحدى اللافتات: «أهي الفيلا.»

نظرت للافتة على السور القديم والذي يبدو قصيرًا بالنسبة لباقي الأسوار في نفس الشارع بالإضافة إلى أنه مدهون بلون غلب عليه التراب فلم تعد تستطع أن تميز لونه الأصلي، وفتحنا البوابة الصغيرة والتي كانت مفتوحة، وعندما دخلنا وجدت أحد الأشخاص يجلس على كرسي خشبي في الحديقة بمواجهة الفيلا وعندما رآنا أشار إلينا وقال: «أنتم من كلمتوني في الهاتف بخصوص شراء الفيلا؟»

رديت عليه: «أيوة، أنا حسام اللي كلمتك.»

قال لي البائع: «جبت معاك اللي اتفقنا عليه؟»

رديت: «أيوة معايا.»

تهللت أساريره عندما علم بجاهزيتي وجديتي وقال: «أنا جبت العقد كمان، يلّا نمضي.»

ذُهلت شروق من مدى تسرع مالك الفيلا على البيع فأخذتني من يدي بعيدًا وقالت لي بصوت كله غضب: «إنت بتعمل إيه؟ وفلوس إيه اللي هاتدفعها وإنت لسه ماشوفتش الفيلا أصلًا، هانشتري سمك في مياه؟ وفين عقود ملكية الفيلا؟ مش ممكن يكون نصاب والفيلا مش بتاعته؟»

حاولت طمأنتها متصنعًا الهدوء والثقة في كلامي: «أنا سحبت 100,000 جنيه وده كان الشرط عشان ضمان الجدية وقالي إني لازم أدفع المبلغ ده وبعدين هانمضي العقد، وطبعًا هاشوف الفيلا من جوه وهشوف ورق الملكية، أنا طلبته منه، ماتقلقيش.»

نظرت إليَّ وهي تشعر بالقلق مما أفعله وقالت: «يا ريت تكون عارف بتعمل إيه!»

بلعت ريقي وذهبت إليه قائلًا بصوت به نوع من الجدية والصرامة: «إحنا الأول هانبص بصة سريعة على الفيلا وعاوز أبص على سندات الملكية من فضلك.»

قال لي البائع: «مافيش أي مشكلة كل الورق معايا»، ثم وجه حديثه إلى شروق قائلًا: «يا هانم أنا رجل أعمال ومقتدر وعندي ما يكفيني ولا يمكن أضحك عليكم، خاصة إنكم شباب في مقتبل حياتكم

ولازم تلاقوا اللي يقف معاكم، وأنا أشفقت على جوزك وهو بيحكيلي عن ظروفه وقررت إن الفيلا هاتكون بتاعته والتزمت بكلمتي معاه.»

قالت له شروق: «بس مافيش فيلا بالسعر ده دلوقتي!»

رد عليها المالك: «قصدك إيه يا هانم؟ الفيلا فيها عيب يعني؟! حضرتك الفيلا سليمة وكويسة ولولا ظروف السفر واحتياجي لفلوس سائلة بسرعة، فده اللي اضطرني إني أبيع وبالسعر ده، اللي هو نفس سعر الشراء بتاعي.»

لم ترد عليه شروق ونظرت إليَّ: «يلَّا نشوف الفيلا يا حسام.»

وسرنا إلى السلم المؤدي للفيلا والذي يوجد على جانبيه تمثالان لمخلوقين يشبهان الشياطين بأجنحة مدببة وكبيرة، نبهت شروق حتى لا تصطدم بها، وبينما نحن نصعد الدرج وجدت عيني البائع زائغتين ويبدو عليه القلق.

قلت في قرارة نفسي: «يبدو أن الفيلا بها عيب ما؛ لذلك هو خائف من أن نراها من الداخل.»

ودخلنا باب الفيلا ليصدر الباب الحديدي صريرًا مزعجًا كأنه سارينة إنذار لنا.

دخلنا البهو الخاص بالقصر وكل تفكيري منصب على رؤية أي شقوق في الحوائط أو أي عيوب فنية في الفيلا.

وتفحصنا الدور الأرضي كاملًا ووجدناه سليمًا لا يوجد به عيوب ولا يحتاج إلا دهان حوائط بسيط. وصعدنا للدور الثاني وفحصناه وكان بلا مفاجآت أيضًا.

حينهـا شـعرت بالاطمئنـان قليـلًا وأردت أن تشـعر شروق بنفـس إحسـاسي، ولكنهـا يبـدو عـلى وجههـا أنهـا مـا زالـت ممتعضـة.

ووجهـت حديثـي إلى البائـع: «تمـام جـدًّا، آخـر حاجـة بقى,ممكـن أبـص عـلى ورق ملكيـة الفيـلا والأرض؟»

رد عليـا البائـع: «تمـام يعنـي؟ يـلا بينـا نطلـع بـرة في الجنينـة في الهـواء الطلق.»

ونزلنـا السـلم المـؤدي للـدور الأرضي وأحسسـت بحركـة مـا في الـدور العلـوي سرعـان مـا تجاهلتهـا وأكملنـا طريقنـا للخـروج إلى الحديقـة.

فحصـت ورق الفيـلا جيـدًا وأدركـت أن هـذا البائـع هـو المالـك رقـم أربعـة لهـذه الفيـلا وتأكـدت مـن صحـة الأوراق التـي يملكهـا.

وأخـرج البائـع العقـد وقـرأت بنـوده سريعًـا ولم تلفـت نظـري إلا جملـة الـشرط الجـزائي: في حالـة تراجـع أحـد الطرفـين عـن إتمـام التعاقـد بعـد دفـع المقـدم وإمضـاء العقـد الابتـدائي يتحمـل المتراجـع عـن التنفيـذ شرطًـا جزائيًّـا قيمتـه 300,000 جنيـه مـصري.

أخـذت أقرؤهـا مـرارًا وتكـرارًا وأسـأل نفـسي: لمَ قـد تكـون هـذه الجملـة مكتوبـة، ربمـا الرجـل عمـلي جـدًّا ويريـد أمـوره أن تكـون محسـومة.

حاولـت طمأنـة نفـسي وطمأنـة شروق متصنعًـا الثقـة وأنـا أبتسـم لهـا وأقـول: «لا تقلقـي مـن أي شيء!»

ومضيـت العقـد ومـضى المالـك العقـد بسرعـة وظهـرت الابتسـامة عـلى وجهـه وأعطـاني المفتـاح بسرعـة وعندمـا أعطـاني المفتـاح قـال لي: «خـلي بالـك، سـلام.»

وخرج بخطوات مسرعة من حديقة الفيلا، وبعد خروجه بلحظات دخلت الحديقة امرأة في سبيعنيات عمرها شعرها مكسو بالشيب يبدو عليها أنها من سكان الفيلات المجاورة ومعها شخص يرتدي نظارة طبية ضخم الجثة أمهق الشعر، لتسألنا السيدة قائلة :»إنتوا السكان الجدد؟»

رديت: «أيوة، حضرتك جارة لينا؟»

ردت: «أيوة أنا ساكنة في الفيلا اللي قدامكم، وده أحمد ابني مهندس مدني قد الدنيا، مش موضوعنا، إنتوا لازم ماتقعدوش ساعة واحدة في الفيلا دي.»

سألتها شروق في فزع وكأنها تريد أن تثبت أن حدسها صحيح: «ليه هي فيها إيه؟ معيوبة؟ أكيد الراجل ده نصاب!»

ردت السيدة في ثقة بعد أن نظرت إلى ابنها: «الفيلا مسكونة.»

سألتها في سخرية: «إزاي مسكونة بقى؟ يعني إيه مسكونة؟»

قالت: «بنشوف بالليل ظواهر مرعبة خاصة في الجنينة عند الشجرة الكبيرة اللي هناك دي.»

سألتها: «بتشوفي إيه يعني؟»

هي: «باشوف حاجات أخاف أذكرها.»

أنا: «طب أوكي، خلاص أنا مضيت العقد وماقدرش ألغيه لأن فيه شرط جزائي.»

هي: «أنا مستعدة أشتريها منك.»

أنا: «آه قوليلي بقى إنك طمعانة في الفيلا، بس هي كانت قدامك ما أخدتيهاش ليه؟»

هي: «الموضوع كبير ومعقد وفيه خلافات ودم بيننا وبين صاحب الفيلا دي، من فضلك بيعها ليا أنا هاهدمها وأعمل اللي المفروض كان يحصل من زمان.»

أنا: «أنا متأسف، أنا لا يمكن أضيع المكان ده من إيدي، وإن كان على العفاريت هاجيب شيوخ يقرؤوا قرآن فيها كل يوم.»

هي: «مع احترامي يعني ليك، بس الشيوخ هايفضلوا قاعدين لك ليل نهار! إنت واقف على أرض ملعونة، ردك النهائي إيه؟»

أنا: «لا مش هاقدر أبيع.»

وفجأة وجدت شروق تمسك بيدي بقوة وتهمس لي في رعب: «حسام يوجد شخص ينظر لنا من الشباك.»

ونظرت بسرعة لأجد شخصًا ما ملامحه غريبة وعيناه محدقتان إلينا، وعيناه تلك بها من الشرود والظلام ما يكفي لملء قلوبنا بالرعب.

وقلت لشروق: «يبدو أنه حرامي قفز للفيلا ولم نره، الآن هو في أملاكنا، بما أننا أصبحنا الملاك الجدد. لا تقلقي سأدخل وسأمسك به.»

كانت خطواتي ثقيلة وبطيئة وأنا أتصنع الشجاعة أمام زوجتي المتذمرة دائمًا ولم تقبل كرامتي أن أطلب مساعدة من أحمد ابن الجارة العجوز بأن يدخل معي، ولكن فجأة وجدته يقول وهو ينظر للنافذة: «سأدخل معك للفيلا، إنه ينظر إليَّ بسخرية يا أمي وأشعر بأنه عليَّ أن ألقنه درسًا!»

وقالت والدة أحمد له: «لا تذهب يا بني، إنه يستفزك ليتخلص منك كما فعل مع والدك من قبل.»

أحمد: «لا تقلقي يا أمي، أنا لا أخاف منه، أنا أريد أن أعرف من قتل أبي فقط ولماذا ؟»

وترك والدته ودخل معي الفيلا وتبعتنا بفارق خطوات شروق وهي تمسك بيد الجارة العجوز. وذهبنا للغرفة التي رأينا بها الشخص الذي نظر إلينا، ووقفنا بالخارج قليلًا ونحن ننظر للغرفة ونكاد لا نرى ما فيها وحاولت التدقيق بعيني وسط الظلام لأرى مَن بالداخل، ولكن لم أرَ أحدًا وكنت خائفًا من الدخول.. وفجأة مر من أمامنا شخص بسرعة في لمح البصر، نظرنا أنا وأحمد بعضنا إلى بعض مترددين ماذا سنفعل؟!

ثم وجدنا هذا الكيان يقترب منا ويوجه كلامه إلى أحمد: «اقترب يا أحمد ولا تخف، ما زلت تريد أن تعرف لماذا قتلت والدك؟ كن رجلًا وادخل إليَّ!»

ويبدو أن أحمد أثار حفظيته استفزاز هذا المخلوق ودخل الغرفة راكضًا وما إن دخل حتى أُغلقت الغرفة عليه. كانت الأحداث متلاحقة بسرعة ولم أعرف ماذا أفعل، كنت خائفًا ولا أريد مواجهة شيء لا أفهمه ولا أعرفه.

سرعان ما اتجهت إلى باب الغرفة محاولًا فتحه ولكنه مغلق جيدًا ويبدو عليه أنه يحتاج إلى شاحنة لكسره، بينما كانت والدة أحمد وشروق تصرخان طلبًا للنجدة، وحاولت أن أطرق الباب قائلًا:

«افتح الباب يا أحمد»، وأنا أسمع أصوات خبط وضرب وصراخ بالداخل، وفجأة فُتح الباب ودخلت لأجد أحمد ملقى على الأرض غارقًا في دمائه وبجانبه وحش لم أرَ له مثيلًا، مسخًا دميمًا يرتدي زيًّا حربيًّا أسود كأزياء الحروب الوسطى، ويوجه الكلام لي قائلًا: «الآن تخلصت لك من آخر فرد قد يشكل خطرًا على ملكك من هذه العائلة، والآن انتهى دوري وستتسلم إدارة هذا المنزل كاملًا.»

قلت له بصوت مرتعش: «من أنت؟ أتعرفني؟»

قال لي: «ألم تعرفني بعد؟ ألا يبدو هذا الصوت مألوفًا إليك؟»

أخذت أفكر وأنا لا أريد أن أصدق، ولكن كيف هذا!

قال لي وهو يغمض عينيه وكأنه في انتظار شيء ما سيحدث: «الآن اكتملت مهمتي وستنال روحي التائهة الخلاص أخيرًا.»

وفجأة نهض أحمد من مرقده وتناول سكينًا من الأرض ليطعن هذا الوحش طعنة نافذة في صدره، ليخرج من صدر الوحش نور أبيض أخذ يدور في السقف واقترب من أحمد الذي خر صريعًا بعد أن طعن الوحش ثم اقترب مني ودخل إلى صدري وسقطت أنا الآخر على الأرض مغشيًّا عليّ، ولم أفق إلا على صوت سارينة الإسعاف وطبيب الطوارئ وهو يقول: «توجد حالتا وفاة وشخص فاقد الوعي جارٍ إفاقته الآن!»

وحاولت فتح عيني ولكني أخذت أبحث عن شروق، هل هي بخير؟ حتى وجدتها تركض إليَّ، حينها أغمضت عيني فرأيت الشيطان الذي كان بالغرفة يقترب مني وعندما وصل إليَّ تغير شكله إلى هيئة مالك الفيلا.

قلت له: «من أنت؟»

رد عليَّ: «أنا المالك الرابع وخادم سيد الجحيم وحارس البوابة الشيطانية التي آلت إليك ملكيتها الآن.»

– ماذا تقول؟ شياطين وخادم وبوابة! أنا أدرك أني أحلم وأنه لا وجود لمثل هذه التخاريف في عالم الواقع.

– أتعتقد ذلك؟ إذًا لماذا أردت تصديق أن هناك فيلا بهذا المبلغ؟ الأمر عائد لك الآن، أنت الآن جزء من اللعبة وستكون الحارس القادم للبوابة بعد أن تقاعدت أنا وطلبت من سيد الجحيم الخلاص.

– الخلاص من ماذا؟ ثم أريد أن أسالك سؤالًا، لماذا قتلت هذا الشاب الذي لم يفعل لك شيئًا؟

– لقد كان قتله جزءًا من الاتفاق مع سيد الجحيم بأن أقتل آخر نسل هذه العائلة التي تعلم أكثر مما ينبغي وتريد أن تهدم الفيلا وتغلق البوابة للأبد.

– وما هو الجزء الثاني من الاتفاق؟

– أن أجد مشتريًا للفيلا يتولى مسؤولية ضمان استمرار البوابة كما هي، وذلك مقابل بعض المزايا الممنوحة من السيد.

– أتقصدني أنا؟ لا لا، لن أكون خادمًا لإبليس، أنا عبد الله وأريد الجنة.

– يا لك من غبي، كيف ترفض النعمة! أتدرك أن رفض النعمة كفر؟ أتريد أن تكفر يا أخي؟

– أنا لم أكن أريد كل ذلك، كل ما كنت أريد هو بيت أتزوج فيه.

– لا، أنت طماع وجشع وتبيع للناس الوهم، والجزاء من جنس العمل، ولقد بعت لك الوهم في صورة فيلا، ولكن أنا لديَّ قدر من الضمير عنك يا بني آدم فقد قلت لك مغبة ما أنت قادم إليه.

– ولكن..

– كل طلباتك مجابة، فقط لا تقترب من تلك الغرفة ولا تلك الشجرة، وإذا سمعت أصواتًا بها بعد منتصف الليل، فتجاهلها ولا تسترق النظر ولا السمع إليها.

– ولكن ما هو دوري؟

– أنت ستكون مجرد مدير للمنزل، واجهة بشرية للمكان لضمان استمرار البوابة، وإبليس وأعوانه سيتولون بالمقابل مساعدتك في حياتك اليومية بطريقة غير مباشرة، فقط لا تمس الشجرة أو تقترب من الغرفة.. والآن أريدك أن تستيقظ من نومك.

«اصحَ يا حسام.. اصحَ.» ففتحت عيني لأجد شروق تحاول إفاقتي ووجدت نفسي في المستشفى وقالت: «أحمد وجدوه في الغرفة مقتولًا جنبًا إلى جنب مع مالك الفيلا، ولكن كيف دخل المالك إلى الغرفة وقد رأيناه يغادر أمامنا، ولماذا قتل أحمد بن الجارة العجوز؟»

– قولي لي أين هي تلك الجارة الآن؟

– إنها في الغرفة المجاورة، منهارة بعد علمها بوفاة ابنها.

نهضت من السرير وذهبت إلى الغرفة ودخلت وبعد أن رأتني صرخت قائلة: «اخرج من هنا، لا أريد أن أرى وجهك.»

– أنا مدرك شعورك، بس أنا عاوز أعزيكي وأقولك إن ابنك شجاع جدًّا.

– وإنت إيه؟ تعزيتي الوحيدة هي إن البيت يولع والشجرة تتقطع، اطلع برة.

وخرجت من الغرفة وأنا أفكر فيما قالته لي، وقررت الذهاب إلى مخزن الصيدلية وعدت إلى الفيلا حيث كانت الساعة قد قاربت على منتصف الليل، وعند خروجي من المنزل بعد أن قمت بتفخيخ الشجرة وجميع زوايا الفيلا بزجاجات النيتروجلسرين وتبقت معي زجاجة واحدة سأضعها بالمدخل، وفجأة، ظهر لي من العدم كيان شرير قال لي: «أتريد تفجير الفيلا أيها البشري الحقير؟ من أنت كي تتحدى إرادة سيدنا الشرير، لقد كان بإمكاننا جعلك ملكًا من ملوك الدنيا، ولكنك بغبائك رفضت النعمة والآن ستنال جزاءك، ستموت بأبشع طريقة.»

قام الوحش بطريقة ما بجذب آخر زجاجة أحملها وسحب ريموت جهاز مسرع الجزئيات من يديَّ والذي سيؤدي تشغيله لانفجار النيتروجلسرين.

- «أنا لست خادمًا للشيطان، قد أكون عاصيًا ولكني موحد بالله تعالى!»

– اخررررس، لا تذكره أمامي، سأضع الآن حدًّا لوجودك أيها الكائن الدنيء.

قمت بمد يدي للأرض مسرعًا وتناولت حجرًا وقمت بقذفه تجاه الشباك الزجاجي للقصر وقلت للوحش: «إذا كنت سأموت فلن أذهب

بسهولة هكذا، الآن ستتحول بوابتك وشجرتك تلك إلى رماد، هناك ريموت آخر مع شخص ما وأنا الآن أعطيت له الإشارة بالتفجير.»

كانت الساعة في تمام الثانية عشرة وبدأت الشجرة تصدر الأصوات والغرفة المشؤومة في الطابق العلوي يحدث بها ضوضاء، وفجأة حدث الانفجار في الحديقة وتعالت صرخات شيطانية من الشجرة، ثم توالت الانفجارات في القصر بالتدريج حتى أصبح كتلة من النار أضاءت سماء المدينة الهادئة كأنها في يوم مشمس عادي.

وحكى الجيران أنهم ظلوا يسمعون أصوات صرخات لا يعلمون سببها وكادت تصم آذانهم حيث حدثت مباشرة بعد الانفجار لدرجة أن رجال المطافئ لم يجرؤوا على الدخول للباب بسبب الحكايات تلك التي سمعوها من الجيران عن هذه الفيلا المسكونة.

وطلع النهار أخيرًا وانطفأت النيران ثم جاءت الشرطة للفيلا وقامت السيدة العجوز بحكي قصة مفادها أنها كانت الشخص الآخر الذي يحمل الريموت لمسرع الجزيئات الذي وضعته في القصر لتفجيره وأني كنت بداخل القصر أثناء وقوع الانفجار وبناءً على كلامها تم القبض عليها، ثم خرجت بعد ذلك لأن محاميها أثبت أنها تعاني من صدمة عصبية بعد وفاة ابنها وقالت التحقيقات إنه لم يتم العثور على جثتي بالقصر.

وحاولت السيدة العجوز إقناعهم بأنها متأكدة من أني كنت بالداخل أثناء الانفجار حيث كان الاتفاق بأن أقذف حجرًا على الشباك كعلامة أني لن أستطيع الخروج وأن عليها الضغط على زر التفجير.

قامت زوجتي بالإبلاغ عن فقداني بدون أي نتيجة.

«وبعد مرور أكثر من خمسة أعوام على رحيلي ومع ضغط أهل شروق عليها، قامت برفع دعوة قضائية للطلاق باعتباري مفقودًا بسبب أنها كانت على أمل بأن أعود إليها مرة أخرى، وبالفعل صدر الحكم باعتباري ميتًا وورثت مني القصر بسبب عدم وجود ورثة لي غيرها وقامت بهدم الحديقة بأكملها ورممت القصر تمهيدًا لبيعه. وعند مجيء اليوم الذي ستبيع فيه القصر نظرت للنافذة فرأتني وأنا أنظر إليها وابتسمت لها، ثم وجدتها تجري بسرعة للصعود إلى الغرفة التي ظهرت فيها ولكنها لم تجد شيئا، ثم رأت وردة من نوع التيوليب على الأرض كالتي اعتدت إهداءها لها بسبب حبها لهذا النوع وقامت بالتقاط الوردة وهي تذرف الدموع.

قامت بعد ذلك بإلغاء البيع. وبعد ذلك تقدم أحد للزواج منها وتزوجت منه وعاشت في ذلك القصر مع زوجها الجديد، وحتي ذلك الحين ما زالت تلك الغرفة مغلقة ولا تسمح شروق لأحد بالاقتراب منها، وعندما تدخلها تجد وردتها المفضلة على الأرض، وأدركت هي أن الوسيلة الوحيدة لرؤيتي هي عن طريق النافذة المطلة على الحديقة حيث كانت تضع كرسيًّا في الحديقة الجديدة وهي تعمل بالكروشيه وأنظارها موجهة إلى نافذة الغرفة حيث يقبع سرنا الصغير.. وما زالت تنظر إليَّ بالساعات بلا ملل أو توقف في انتظار نزولي من الغرفة كي أودعها وداعًا يليق بها.